
معارك إسلامية خالدة :
معركة ذات الصواري
٢٠ سؤالاً وجواباً حول المعركة التي حققت
للأسطول العربي الإسلامي السيادة على البحر
المتوسط وثبتت الفتح العربي لمصر والشام
مع طرائف عن تاريخ الملاحة العربية .
محمد غريب جودة
دار الطلائع

معارك إسلامية خالدة :

معركة ذات الصوارى

٢٠ سؤالاً وجواباً حول المعركة التى حققت للأسطول العربى الإسلامى السيادة على البحر المتوسط وثبتت الفتح العربى لمصر والشام مع طرائف عن تاريخ الملاحة العربية .

إعداد

محمد غريب جودة

دار الطلائع

للنشر والتوزيع والتصدير

٥٩ شارع عبد الحكيم الرفاعى ناصية امتداد مكرم عبيد وسمير فرحات

مدينة نصر . القاهرة تليفون ٢٤٧٩٨٦٣ فاكس ٢٤٨٠٤٨٣

الوكلاء بالدول العربية

السعودية

- الدار البيضاء للنشر والتوزيع

الرياض ت ٤٢٥١٦٢٤ ص.ب ٨٩٥٦٢ الرياض الرمز ١١٦٩٢

- كنوز المعرفة للنشر والتوزيع

جدة ت ٦٥١٠٤٢١٠ فاكس ٦٤٤٢٢٧٣ ص.ب ٣٠٧٤٦ جدة ٢١٤٨٧

المغرب

- دار المعرفة للنشر والتوزيع

40 شارع فيكتور هيكو - الدار البيضاء
ص.ب 4150 ☎ 300567 - 309520

- المكتبة السلفية للنشر والتوزيع

12 حي الداخلة - زنقة الإمام القسطلاني - الدار البيضاء
☎ 307643

الإمارات

- دار الفضيلة للنشر والتوزيع

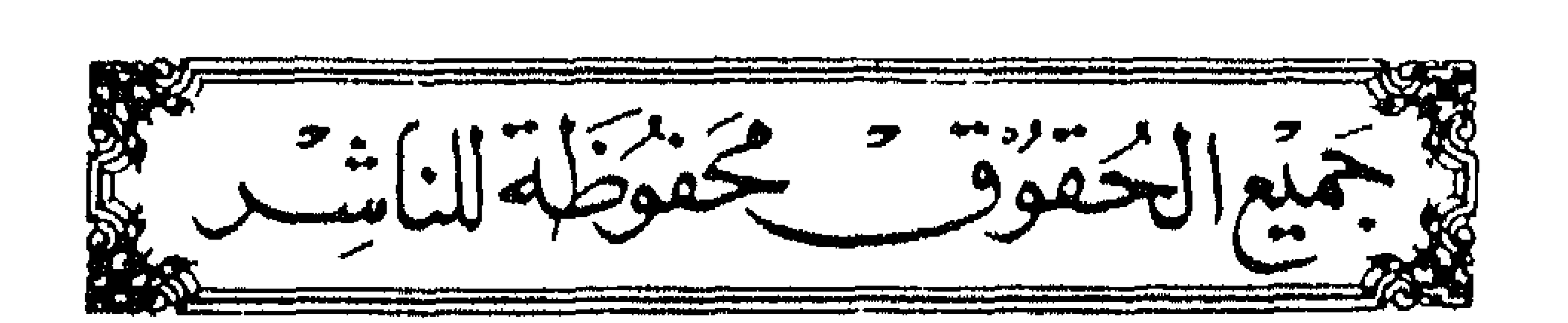
دبي - ديرة - ص ب ١٥٧٦٥ ت ٦٩٤٩٦٨ فاكس ٦٢١٢٧٦

البحرين

- دار الحكمة للنشر والتوزيع

ص.ب ٢٣٨٧٥ ٣٣٦٠٣٢




جميع الحقوق محفوظة للناشر

تقديم

عزيزنا القارىء :

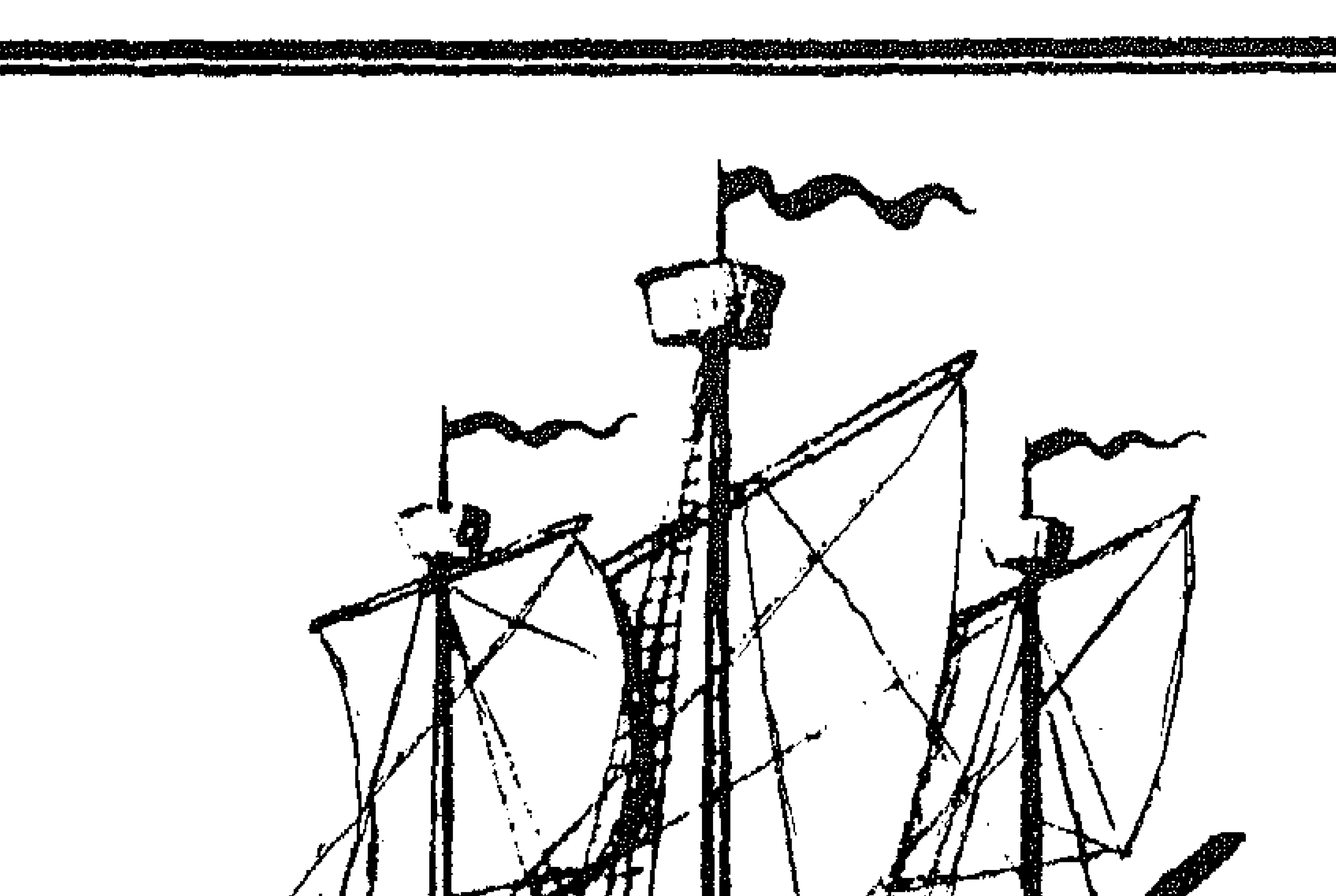
يحفل تاريخنا العربي الإسلامي بصفحات مجيدة تمتلىء بأروع ضروب البسالة وأعظم أمثلة العبقرية ، وفي هذا العدد من « **بستان المعلومات** » نقدم لك واحدة من أنصع هذه الصفحات .. صفحة معركة خالدة غيرت مجرى التاريخ وأضافت إلى صرح دولة الإسلام الفتيّة دعامة بالغة القوة والثبات هي القوة البحرية المنيعة المسيطرة ؛ وأظهرت من ضروب البسالة والفداء ما يقصر دونه الوصف ، ومن ضروب العبقرية وبراعة القيادة ما يذهل كل مُحلِّل أو مُراقِب لمسار التاريخ ...

إننا ننقل لك صورة الماضي التليد لكي تكتسب الثقة وتشحذ طاقاتك وتمضي – أنت أيها القارىء العزيز – إلى صنع المستقبل من خلال سعيك إلى امتلاك أسباب القوة التى تتلخص الآن فى كلمتين لا ثالث لهما : **الإيمان ... والعلم ....**

مع أطيب تمنياتنا

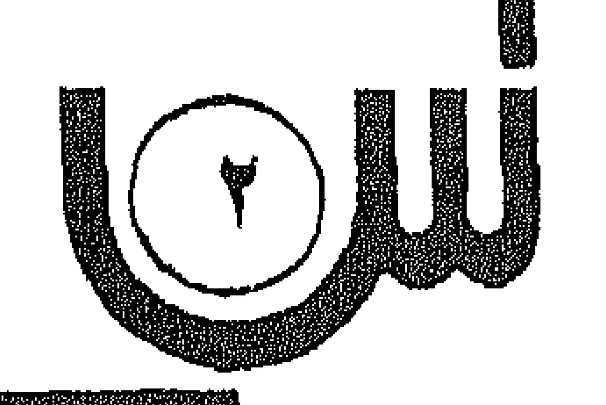
المؤلف والناشر

س ١ لماذا سميت وقعة « ذات الصوارى » بهذا الاسم ؟

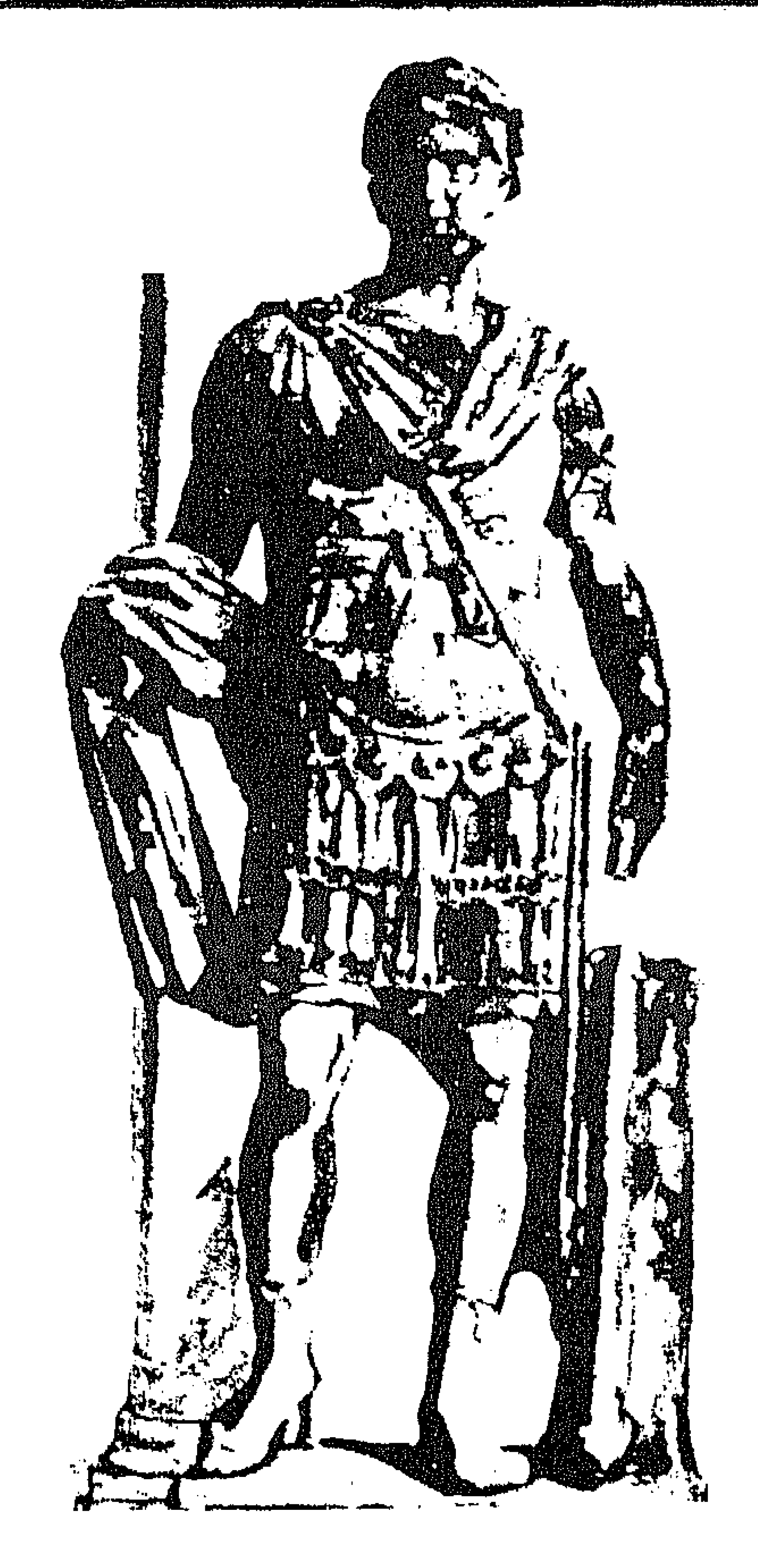


ج : « **الصوارى** » جمع « **صارى** » وهو العمود الخشبى الهائل الذى يتوسط ظهر السفينة الشراعية وتكون وظيفته حمل الأشرعة التى تنشر لتستمد طاقة حركة السفينة من قوة دفع الرياح لها . وكلما ازداد حجم السفينة الشراعية ازداد عدد أشرعتها وازداد بالتالى عدد الصوارى الحاملة لهذه الأشرعة .

وقد اشترك فى وقعة ذات الصوارى حوالى ألف سفينة حربية شراعية من الجانبين ، وهناك تقديرات ترفع هذا العدد إلى حوالى ألف ومائتى سفينة (وفى ذلك العصر لم تكن البشرية قد عرفت بعد السفن التى تدار بالفحم أو البترول أو الطاقة النووية) ، ومن ثم كانت صوارى السفن فى هذه المعركة من الكثرة بحيث تبدو لمن ينظر إليها كأنها غابة من الأعمدة الخشبية . وهذا ما دفع بعض الكتاب العرب الذين كتبوا عن هذه الوقعة البحرية إلى تسميتها بوقعة « **ذات الصوارى** » أو وقعة « **الصوارى** » .



ماهى الأطراف التى شاركت فى هذه المعركة ، وما أسماء القادة ؟



الإمبراطور البيزنطى
« قنسطانز الثانى »

ج : الطرف المهاجم هو الأسطول الرومى بقيادة الإمبراطور البيزنطى **قنسطانز الثانى** (النطق اليونانى هو « **كونستانز** ») ، والطرف المدافع كان أسطولين عربيين صغيرين : أسطول الشام الذى بعث به « **معاوية بن أبى سفيان** » والى الشام من قبل الخليفة **عثمان** - رضى الله عنه - وأسطول مصر بقيادة واليها « **عبد الله بن سعد ابن أبى سرح** » الذى تولى حكم مصر فيما بين عام ٢٥ - ٣٥ هـ (٦٤٥ - ٦٥٥ م) .

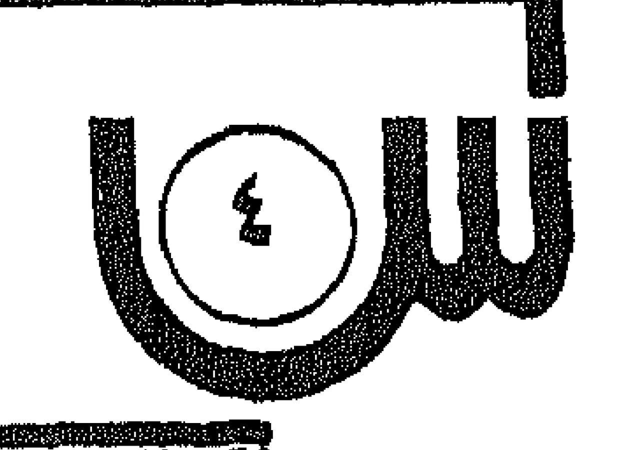
س ٣ الإجابة السابقة تضمنت أن الأسطول « الرومى » قد تولى قيادته إمبراطور « بيزنطى » يحمل اسما « يونانياً » فماهى العلاقة بين الجنسيات الثلاثة « الروميـة » و « البيزنطيــة » و « اليونانية » ؟

ج : فى الواقع لا توجد جنسيات ثلاثة ، بل هى جنسية واحدة ، ونوضح الأمر فنقول : بأن الإمبراطورية الرومانية القديمة بعد أن بلغت أقصى إتساع لها انقسمت عقب وفاة الإمبراطور **ثيودوسيوس** عام ٣٩٥ م إلى قسمين :

الإمبراطورية الرومانية الغربية ومركزها « **إيطاليا** » وعاصمتها « **روما** » ولغتها « **اللاتينية** » .

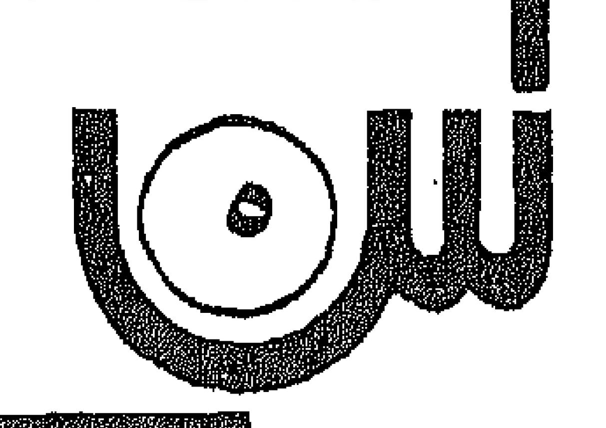
والإمبراطورية الرومانية الشرقية ومركزها « **تركيا الحالية** » وعاصمتها « **القسطنطينية** » التى حور اسمها فيما بعد إلى الآستانة ثم إلى إستانبول ولغتها اليونانية ولما كان أقدم أسماء القسطنطينية هو « **بيزنطة** » فقد نسبت الإمبراطورية الرومانية الشرقية إليها وسميت بالإمبراطورية « **البيزنطية** » . وهذه الإمبراطورية هى التى كان من نصيبها مستعمرات الإمبراطورية الرومانية القديمة فى العالم العربى ، ومن ثم أصبحت جيوشها تحتل سوريا ولبنان وفلسطين والأردن ومصر وأجزاء من سواحل بلاد المغرب العربى .

وقد اعتاد الأجداد العرب أن يطلقوا على هؤلاء الرومان الشرقيين (أو البيزنطيين) اسم « **الروم** » أو « **بنى الأصفر** » وبالتالى فهم « **روم** » وهم « **بيزنطيون** » ولغتهم هى « **اليونانية** » ! .



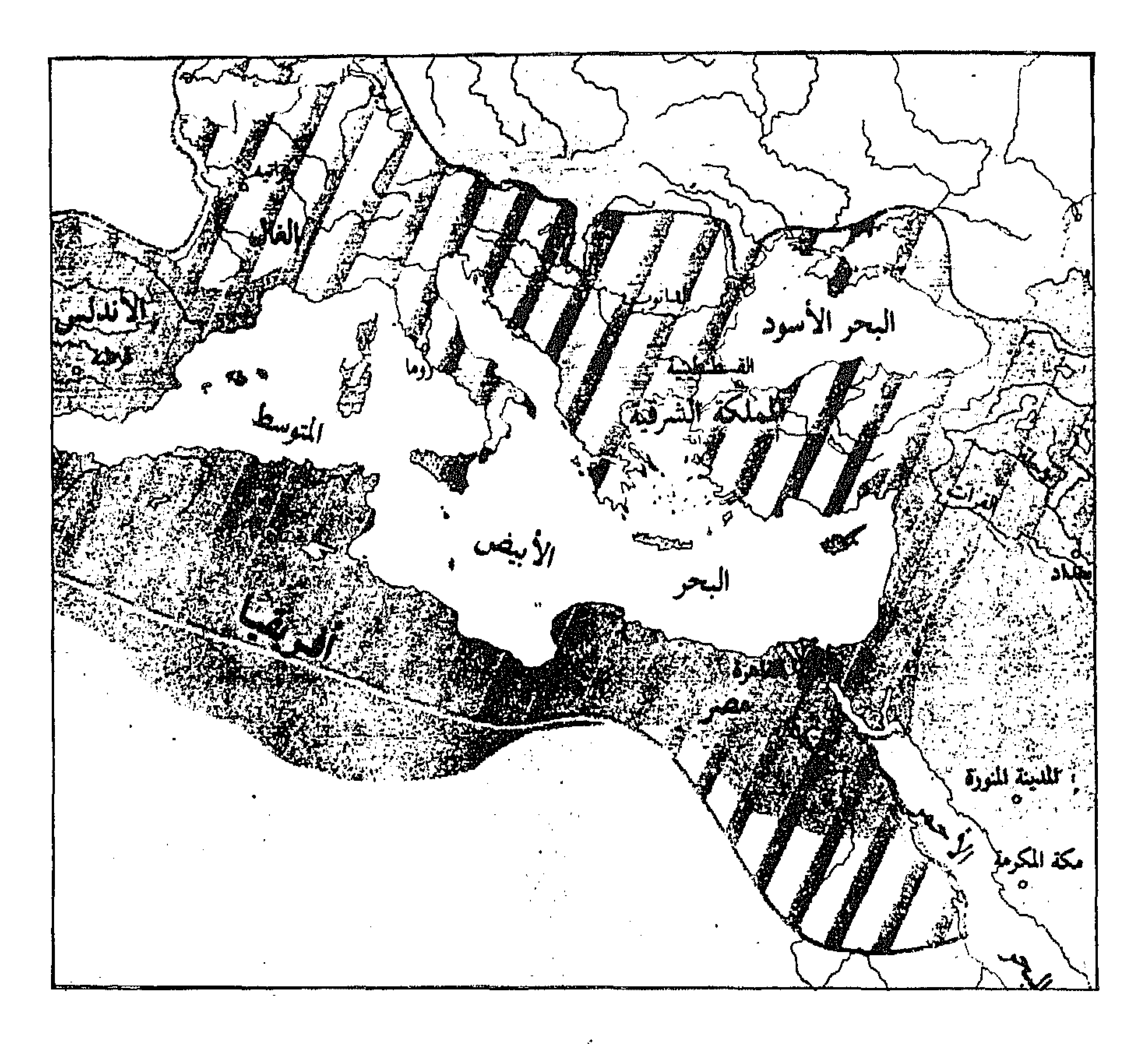
فى أى عام حدثت هذه المعركة العظيمة ؟
وفى خلافة من ؟

ج : وقعت عام ٣٤ هـ الموافق لعام ٦٥٥ م ، وفى خلافة الخليفة الراشد « **عثمان بن عفان** » – رضى الله عنه –.



وما هى الخلفية التاريخية لهذه المعركة ؟

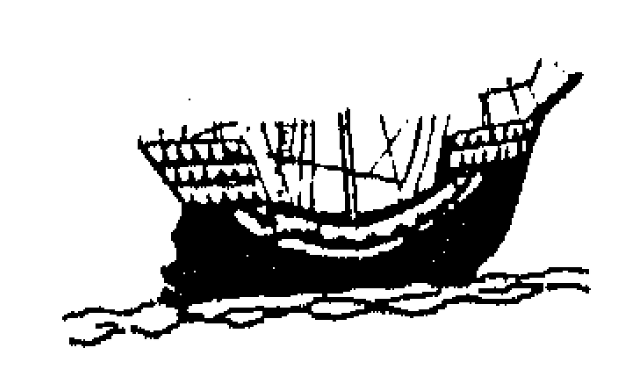
ج : أشرنا إلى أن الجيوش البيزنطية كانت تحتل بلاد الشام ومصر وأجزاء من سواحل بلاد المغرب ، ولم يقتصر هذا الاحتلال البيزنطى على مجرد وجود معسكرات وحاميات عسكرية وأساطيل ، بل كان استعماراً عسكرياً اقتصادياً ثقافياً ، وكانت هذه الجيوش تستنزف خيرات البلاد العربية ، وتضطهد أهلها وتذيقهم الهوان . وبعد أن أشرق نور النبوة ببعثة رسول الله – ﷺ – تقدمت الجيوش الإسلامية الظافرة لتفتح هذه البلاد وتحرر أهلها من نير الروم . وقد رحّب أهل الشام ومصر بالعرب المسلمين ترحيبهم بإخْوَةٍ منقذين ، وإتخذت الجيوش العربية من مصر والشام قاعدتين هامتين لها . فمن مصر انطلقت الجيوش العربية لفتح بلاد المغرب العربى ، ومن الشام مضت تناوش الجيوش البيزنطية وتشتبك معها من آن لآخر فى معارك تهدف لتأمين الحدود الشمالية للدولة الإسلامية وإضعاف قوة الروم .

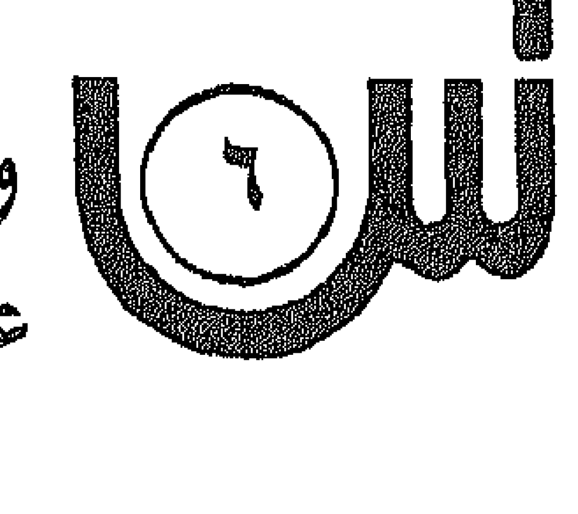


الإمبراطورية البيزنطية المترامية الأطراق قبل معركة « ذات الصوارى » .

وبذلك تحطّمت الإمبراطورية البيزنطية ، وفقدت الجزء الأكبر من مستعمراتها وفقدت معها الساحلين الشرقى والجنوبى الشرقى للبحر الأبيض المتوسط ، ولأول مرة منذ قرون طويلة لم تعد تسمية « **بحر الروم** » تصدق على هذا البحر .

هذه خلفية عامة للأحداث التاريخية التى سبقت معركة ذات الصوارى ويبقى أن نشير إلى الأسباب المباشرة .





(٦) وهل اقتصر الوجود العربى فى البحر المتوسط على شواطئه الشرقية والغربية ، أم رابطت به قوة بحرية عربية ؟

ج : فى الأعوام الأولى للفتح العربى اقتصر الوجود العربى فعلا على الجيوش والحاميات العربية فى الثغور والمدن الساحلية ، لكن والى الشام « **معاوية بن أبى سفيان** » - وينبغى لنا الاعتراف باقتداره كرجل دولة محنك و « **إستراتيجى** » بارع بلغة العصر - كان يعلم أن لدى البيزنطيين أسطول قوى يستطيع الإغارة على سواحل البلادالمفتوحة وإنزال جيوش برية تستعيد هذه البلاد ، وتقطع خطوط الإمداد والتموين البرية عن الجيوش الإسلامية ، وتعزلها تماماً ثم تبيدها ليصبح الفتح العربى لهذه البلاد مجرد ذكرى تملأ نفوس العرب بالحسرة ! .

وكان معاوية على علم بالتاريخ ويعى تماماً أن الفرس تمكنوا قبل الفتح العربى بأعوام قلائل من إنتزاع الشام ومصر من الروم وحاصروا عاصمتهم « **القسطنطينية** » عام ٦٢٦ م بقوة جيوشهم البرية ، لكن طول خطوط إمداداتهم وافتقارهم للقوة البحرية القادرة على مواجهة الأسطول البيزنطى القوى فى البحر المتوسط ، حسم الموقف لصالح الدولة البيزنطية وأتاح لجيوشها فى نهاية المطاف أن تهزم الجيوش الفارسية وتستعيد مستعمراتها المفقودة .

لذلك كله نادى معاوية بضرورة إنشاء أسطول عربى قوى قادر على التصدى للأسطول البيزنطى والاضطلاع بمهمة حماية سواحل الدولة العربية الإسلامية من غدر الروم وغاراتهم ؛ وقد تمكن معاوية



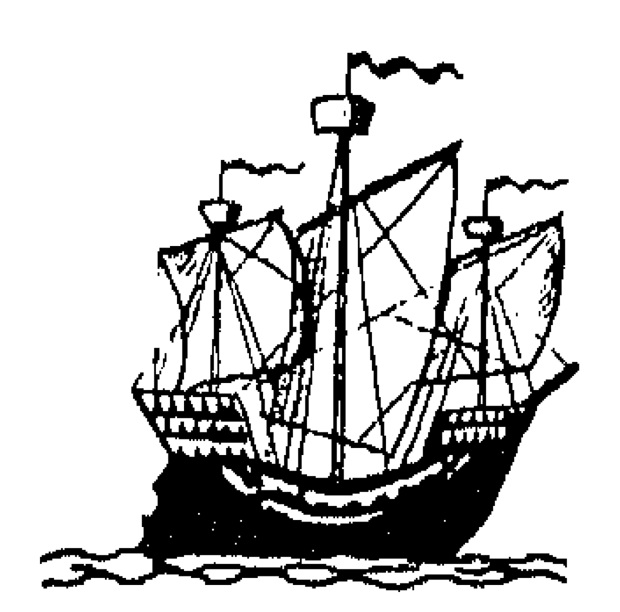
أستعدادات العرب لبناء أول أسطول بحرى .

من إقناع سيدنا عثمان – رضى الله عنه – بالفائدة الجَمّة التى تعود على الدولة من إنشاء بحرية إسلامية ، فأجابه إلى طلبه بعد أن كان فى السنوات الأولى من خلافته معارضاً بشدة لركوب البحر . وقد استعان العرب فى إنشاء هذه الأسطول بالفنيين ورجال البحر من نصارى الشام وأقباط مصر الذين قدموا خبراتهم وجهودهم من أجل بنائه وفاء منهم لمحرريهم ونكاية فى الروم وظلمهم ، وتم بناء الأسطول من أخشاب أَرْز لبنان الشهيرة بجودتها وصلاحيتها بصفة خاصة لصناعة السفن ، وأضحت موانى مصر والشام على البحر المتوسط قواعد لأسطول العروبة ، وجُند للأسطول ملاحون من اليمن والشام ومصر .

س ٧ وهل كانت موقعة « ذات الصوارى » أول مهمة قتالية للأسطول العربى ؟

ج : لا ، فقبل هذه الموقعة قام هذا الأسطول بمهام قتالية أخرى كانت بمثابة عمليات تدريب واستعداد للمعركة الحاسمة الكبرى ، وساعدت أيضاً على استيلاء الجيوش العربية على قواعد بحرية هامة . ففى عام ٢٩ هـ تمكن معاوية من فتح جزيرة « **أرواد** » الواقعة بين ساحل الشام وقبرص فى خطوة تمهد لفتح قبرص ذاتها ، وقبرص جزيرة قريبة للغاية من كل من ساحل الشام وساحل آسيا الصغرى وكانت بمثابة قاعدة بحرية هامة للأسطول البيزنطى يشن منها هجماته على سواحل الشام وكان بمقدوره الإغارة منها على مصر أيضاً لقربها من سواحلنا الشمالية .

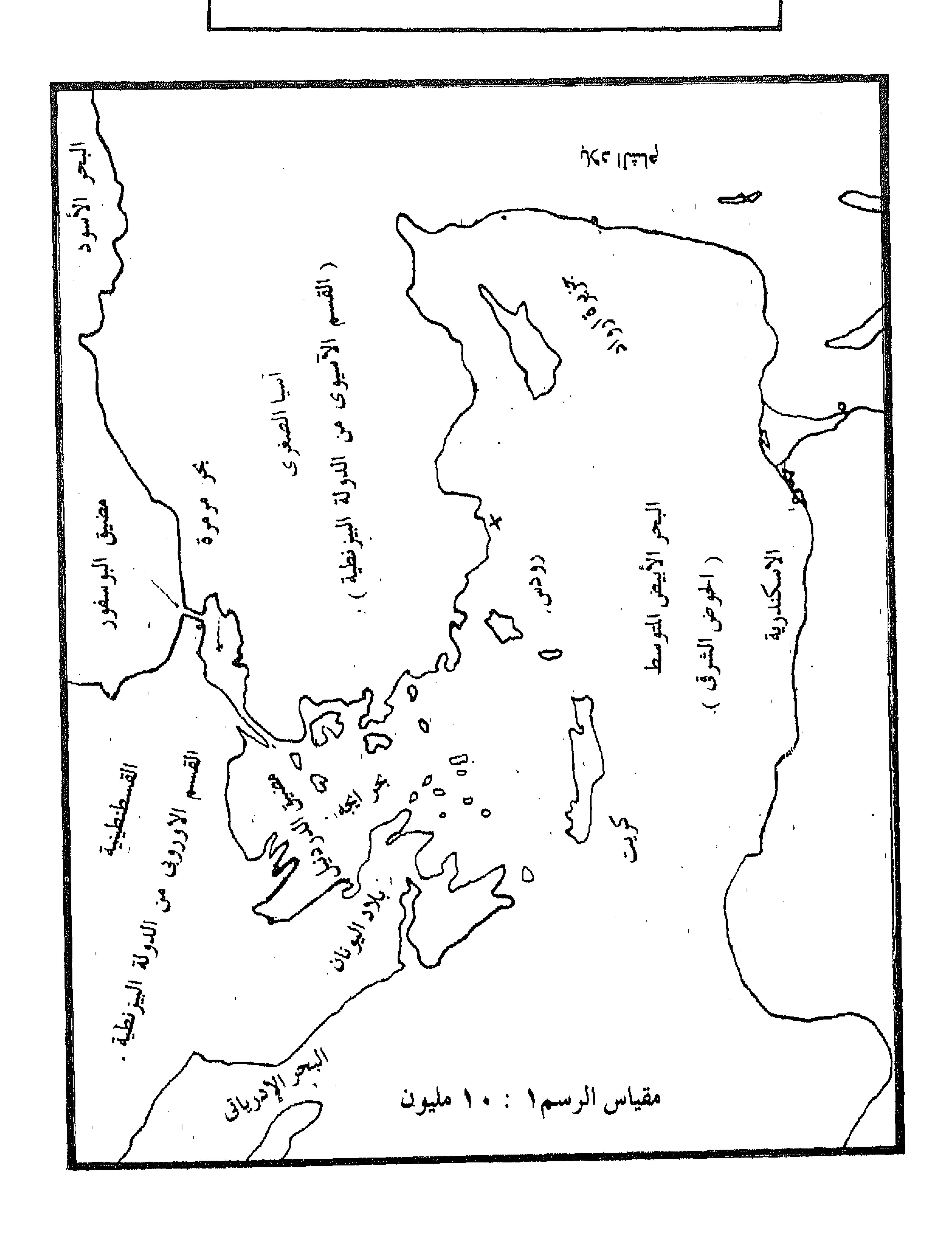
لذلك جهز معاوية إسطولاً عظيماً مكوناً من ٥٠٠ سفينة وتوجه به لفتح قبرص عام ٣٣ هـ (٦٥٣ م) . وقاوم القبارصة مقاومة عنيفة فى محاولة يائسة لرد العرب عن جزيرتهم ، لكن الجيش العربى الباسل أوقع بهم الهزيمة وتحولت قبرص إلى قاعدة بحرية أساسية فى عمليات الأسطول العربى فى شرق البحر المتوسط . وفى عام ٣٣ هـ (فى الأشهر الموافقة لعام ٦٥٤ م) ، أرسل معاوية الأسطول العربى بقيادة « **جنادة بن أبى أمية** » لفتح جزيرة « **رودس** » التى تتحكم فى الطرق البحرية المتجهة إلى قلب الدولة البيزنطية ، وبفتح هذه الجزيرة حرم البيزنطيون من قاعدة إستراتيجية حيوية ومركز هام لصناعة السفن .



س ٨ وماهى إذن الأسباب المباشرة لوقعة ذات الصوارى ؟

ج : تدعمت القوة البحرية العربية فى البحر المتوسط واقتربت من قلب الدولة البيزنطية ، وتقدمت الجيوش العربية تفتح الأمصار وتضيف للدولة العربية الإسلامية فى كل يوم قوة جديدة ، الأمر الذى تعاظم معه فزع الروم من أن يجىء يوم يغير فيه العرب على ديارهم ويفتحون عاصمتهم فتختفى إمبراطوريتهم كلية من خريطة العالم . وفى ظل هذه الظروف النفسية القاسية تولى الإمبراطور قنسطانز الثانى العرش عام ٦٤٢ م بعد سلسلة من النزاعات والدسائس ، وقنسطانز هذا هو حفيد الإمبراطور هرقل واسمه اليونانى « **هيراكليوس** » الذى انتزعت منه قوات الفتح العربى الإسلامى بلاد الشام ومصر فعاش حزيناً مهموماً حتى توفى عام ٦٤١ م . وكان الإمبراطور الجديد الشاب مؤمنا بأن القدر قد بعثه ليعود بالدولة البيزنطية إلى سابق عهدها من القوة والمجد ، وليستعيد لها الشام ومصر ويقضى على الاسطول العربى فى البحر المتوسط ، فلا تقوم للعرب بعد ذلك قائمة أبداً . واستطاع قنسطانز إعادة بناء دولته بالفعل وجهز أسطولاً عظيماً ؛ وحين بلغته عام ٦٥٥ م أنباء نشاط بحرى هائل واستعدادات كبرى يعدها معاوية بن أبى سفيان (الذى كان ما يزال والياً على الشام فى ذلك الوقت ولم يصبح خليفة بعد) لفتح القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية ، أسرع قنسطانز بتجهيز أسطوله للحرب وأبحر به إلى الشام لتدمير الأسطول العربى .. وكان التقاء الأسطولين فى عرض البحر هو السبب المباشر لوقعة ذات الصوارى .

مسرح عمليات الأسطول العربى الإسلامى
وموضع وقعة « ذات الصوارى » .



س ٩ لكن كيف استطاع الإمبراطور البيزنطى قنسطانز إعادة بناء دولته وأسطوله بعد الهزائم الساحقة التى أوقعتها الجيوش العربية بالجيوش البيزنطية ابتداء من موقعة اليرموك الخالدة وانتهاء بفتح رودس ؟ .

ج : فى الحقيقة لابد لنا قبل الإجابة عن هذا السؤال أن نعترف لهذا العدو « **قنسطانز** » بأنه كان حاكماً بارعاً جيد التدبير ، وهذا يُعْلى أكثر من قدر الأبطال المجاهدين الذين أحبطوا تدبيره وهزموه شر هزيمة .

فقد أدرك قنسطانز أنه لا يستطيع مواجهة جيوش وأسطول الإسلام إلا بعد أن يُؤَمّن بلاده ويُعيد تنظيمَها من الداخل ، وقد نظر إلى آسيا الصغرى وهى المصدر التقليدى المعتاد للأخشاب والسفن والجند ورجال البحر المهرة فوجدها مليئة بالفتن والاضطرابات ، ونظر إلى الجزر اليونانية المنتشرة فى بحر إيجه (امتداد للبحر المتوسط يقع بين اليونان وآسيا الصغرى) فوجدها واقعة تحت سيطرة عصابات الصقالبة (أى السلاف سكان شرق أوروبا) الذين كانوا يغيرون عليها بين حين وآخر ؛ فبدأ الإمبراطور الشاب بالقضاء على الاضطرابات فى آسيا الصغرى وإعادة الاستقرار إليها ، ثم انثنى ليطهر الجزر اليونانية وينشر الأمن والسلام فى ربوعها .

وبذلك أصبح التعاون البحرى بين آسيا الصغرى والقواعد البحرية فى بحر إيجه أمراً ميسوراً ومضموناً ، فشرع قنسطانز فى إعادة بناء الأسطول البيزنطى كأقوى ما تكون الأساطيل بمقاييس ذلك العصر .. وهذا هو الأسطول الذى اشتبك مع أسطولنا العربى فى وقعة ذات الصوارى .

س ١٠ نصل إلى الحدث الهام وهو التقاء الأسطولين العربى والرومى فكيف كان ذلك اللقاء ؟

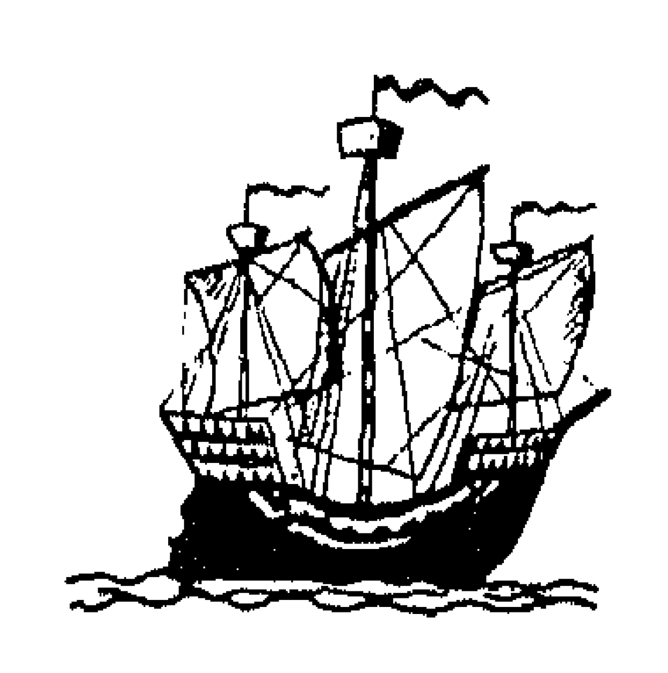


التقاء الأسطولين المصرى والشامى

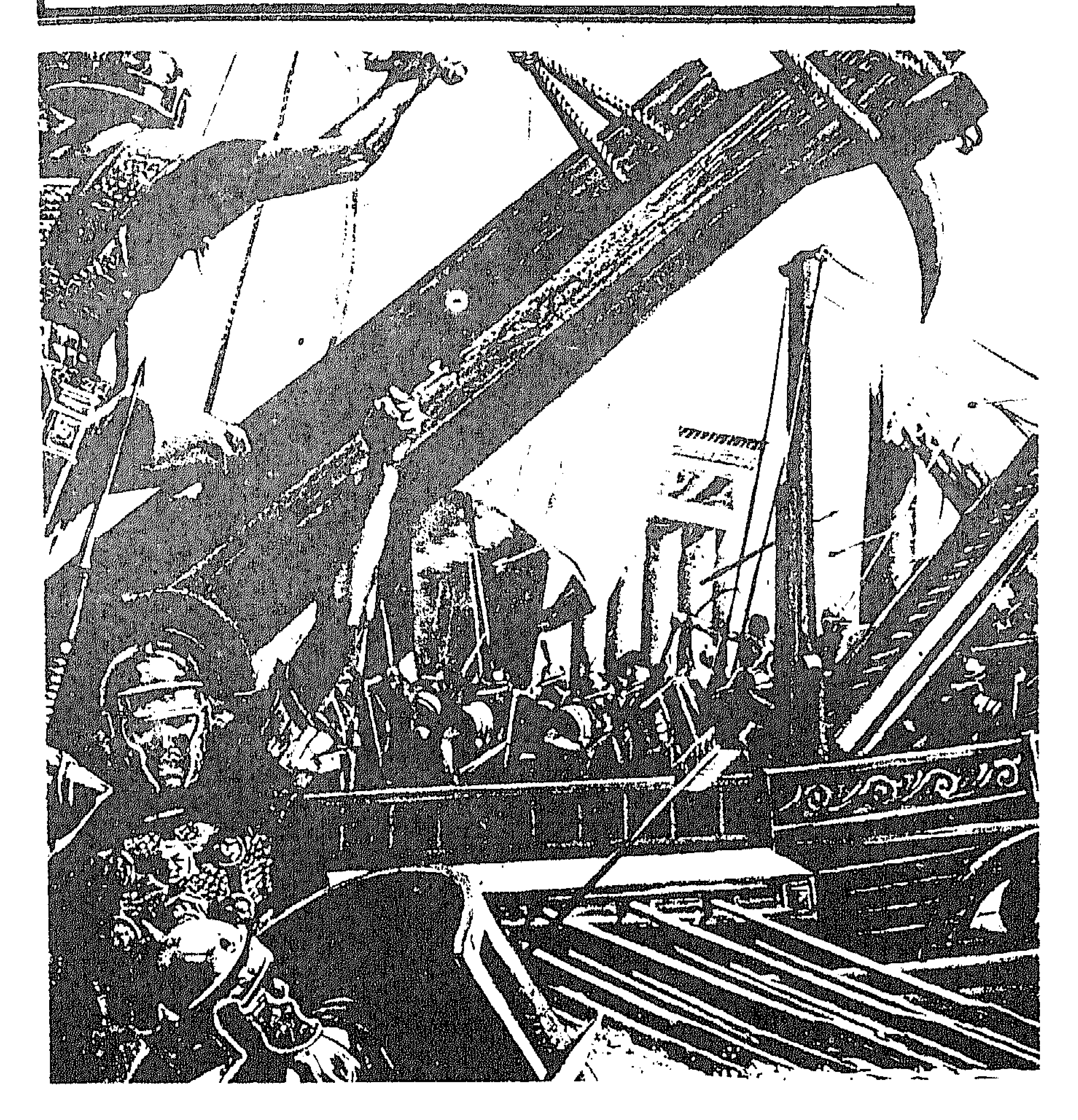
ج : حدث أولاً أن اجتمع شمل الأسطول العربى بالتقاء أسطول الشام الذى أرسله معاوية وأسطول مصر بقيادة واليها عبد الله بن أبى سرح ، وكان قوام الأسطولين معاً حوالى المائتى سفينة . واتجها معاً إلى ساحل ليقيا « **ليكيا** » بآسيا الصغرى ، وبالقرب من موقع يسمى « **فينكس** » على هذا الساحل التقى الأسطول العربى بالأسطول

البيزنطى بقيادة الإمبراطور قنسطانز الثانى نفسه ؛ وكان أسطولاً ضخماً قوامه خمسمائة سفينة وفقاً لأقل التقديرات وألف سفينة وفقاً لأكبرها ، وسفنه مجهزة تجهيزاً جيداً لخوض حرب البحرية ، الأمر الذى لم يتوفر مثله لسفن الأسطول العربى نظراً لحداثة الخبرة العربية بالبحر والحرب البحرية . ونقلت كتب تراثنا العربى تقارير شهود العَيَان عن الأسطول البيزنطى ورد فيها وصفٌ لحشوده بأنها « **جمع لم يجتمع للروم مثله منذ كان الإسلام** » ، ووصف لسفنه الحربية بأنها « **مراكب ما رأينا مثلها قط** » ! .

وفى بداية اللقاء لم يكن اتجاه الريح وسرعتها ملائَميْن لأى من الاسطولين ، مما جعلهما يرسوان قُبَالَةَ بعضِهما وبينهما مسافة قصيرة وجرياً على تقاليد الفروسية التى التزمت بها الجيوش العربية الإسلامية – والتى لم تراعِها الجيوشُ الأوربية يوماً وإن رفعت شعارات الفروسية عالياً ورتبت لها أنظمة وقواعد وأوسمة – قام قادة الأسطول العربى بتخيير قادة الأسطول الرومى بين الحرب البرية على الساحل والحرب البحرية بين السفن ، مع أنهم كانوا يعلمون أن البحر يحقق للروم ميزة كبرى عليهم لأن سفنهم جيدة التجهيز ولأن لديهم من الخبرة بالحرب البحرية ما يفتقر إليه العرب . وقد سارع الروم طبعاً باختيار الحرب البحرية وهم على ثقة تامة من انتصارهم الساحق على الأسطول العربى .



س ١١ وكيف اندلع القتال وأدار العرب الاشتباك مع الأسطول البيزنطى وهم على ظهور سفنهم وسط أمواج البحر التى لا ترحم ؟

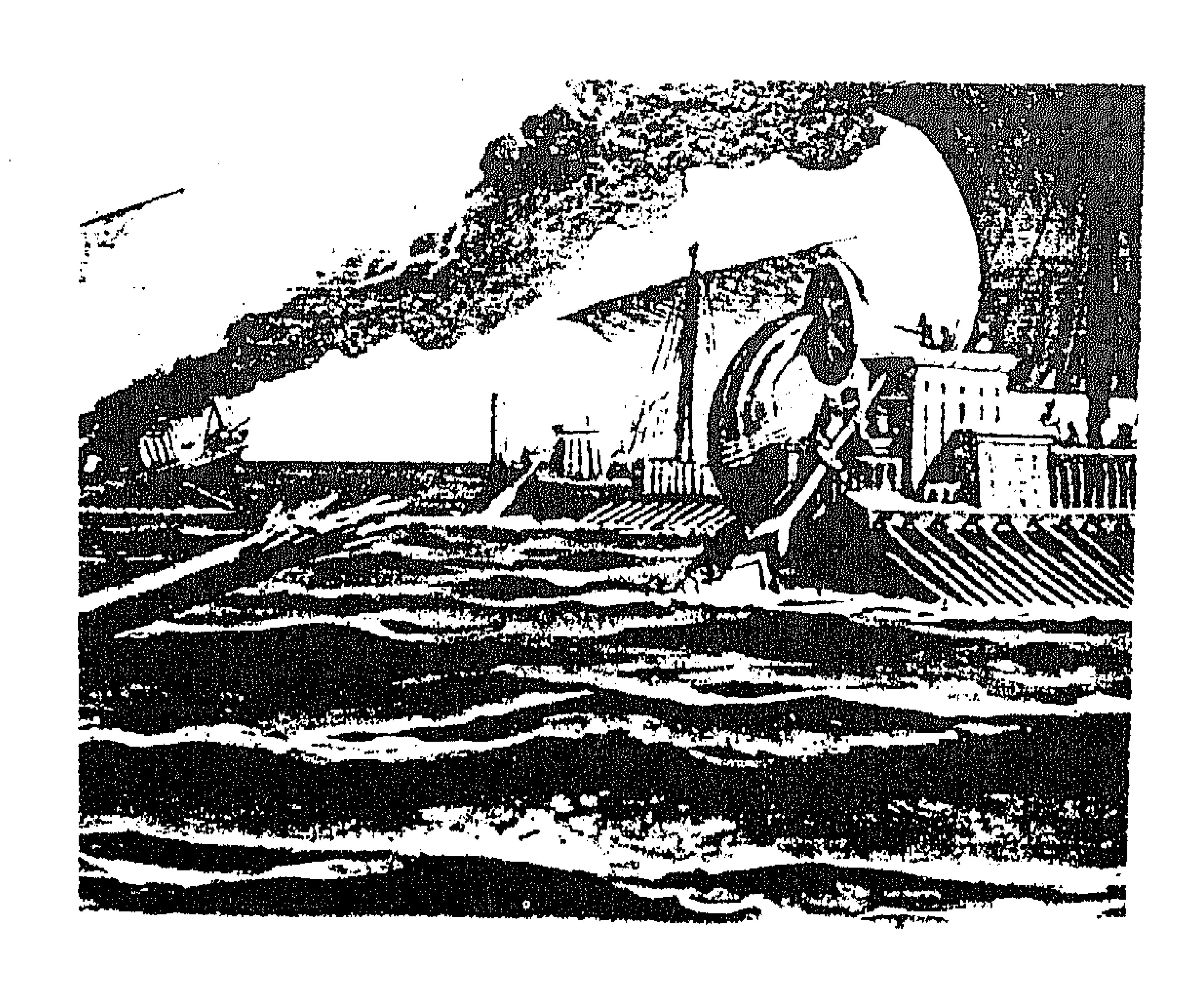


إندلاع القتال بين العرب والبيزنطيين

ج : فى الواقع كانت هذه المعركة أول معركة بحرية حقيقية يشتبك فيها الأسطول العربى الفَتِىّ وهو يركب الأمواج ، ففى معارك « **أرواد** » و « **قبرص** » و « **رودس** » اقتصر دور الأسطول العربى على

نقل القوات البرية والتقدم نحو الشاطىء لإنزالها .. وربما جرت بعض عمليات الرماية بالسهام والمزاريق والحِراب لتأمين الإبرار (إنزال قوات الفتح ومعداتها العسكرية إلى البر) دون أن يتجاوز الأمر ذلك إلى الاشتباك مع السفن الحربية فى عرض البحر .

واتخذ الأسطول العربى وضع القتال وبدأ العمليات بالرماية بالأقواس والسهام ، الأمر الذى أيقن معه الإمبراطور قنسطانز وهو يشاهد سير المعركة من على ظهر سفينة القيادة أنه سيوقع بالأسطول العربى هزيمة ساحقة ماحقة ؛ لأن أسلوب الرماية بالسهام كان ملائماً فقط للحرب البرية لا للقتال على صفحة الماء . وتوقع قنسطانز أن تنفد ذخيرة الرماة العرب سريعاً وهو ما حدث فعلا ، لكن جند الإسلام استبدلوا القِسِيّ والسِّهَام بالحجارة وراحوا يمطرون الأسطول البيزنطى بوابل منها لبعض الوقت حتى نفدت بدَوْرِها .. وعندئذ خُيّل لإمبراطور الروم أن الوقت قد حان للقضاء على الأسطول العربى ، وأنه ليس عليه سوى الانقضاض بقوة لحسم المعركة .



س (١٢) وماذا فعل القادة العرب إزاء هذا المأزق ؟ وكيف تحولت بوادر الهزيمة إلى ذلك النصر المدوى الذى نعرفه ؟ .

ج : كان الموقف حرجاً للغاية والمأزق لا فكاك منه باتباع الأساليب التقليدية ، لكن القيادة الرشيدة البارعة تستطيع دائماً الخروج من كل مأزق وإحالة كل هزيمة إلى نصر عظيم ... وقد اتخذت قيادة الأسطول العربى فى الساعات الحاسمة من هذه المعركة الفاصلة قرارها العبقرى الخطير بتحويل المعركة من حرب بحرية إلى حرب برية .

س (١٣) حرب برية فى وسط البحر ! وكيف ذلك ؟ .

ج : كانت الخطة فى منتهى البساطة والعبقرية فى آن واحد : إذ راح جند الإسلام يلقون الخطاطيف على سفن العدو ويجذبونها إليهم حتى إذا ما التصقت بسفنهم انتقلوا إليها وجعلوا من ظهورها ميادين قتال متلاحم كالميادين البرية وراحوا يُعْمِلُون سيوفَهم ورِماحَهم وخَنَاجِرَهم فى أجساد الرومان الذين أُصيبت قيادتهم بالشلل التام من هول المفاجأة وبراعة تدبير العقل العربى . وسالت دماء الروم ودماء شهداء العروبة البواسل كالأنهار إلى ماء البحر فاصطبغ بلونها ، وامتد اللون الأحمر بفعل الموج إلى ساحل آسيا الصغرى ، وتساقط القتلى فى الماء وطرحت الأمواج جثثهم فتجمع منها عدد كبير أورد مؤرخنا العربى « **ابن كثير** » تشبيهاً له بالجبل العظيم ...

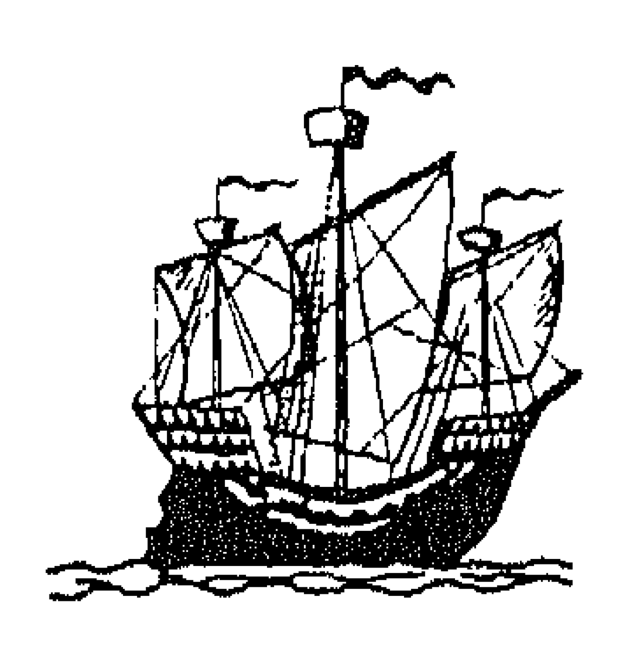
س ١٤ ألم يكن بوسع الروم بذل أية محاولة لإنقاذ أنفسهم من الهزيمة المحققة والمقتلة العظيمة ؟



محاولات يائسة لرد الهجوم العربى

ج : نعم ، بذلوا محاولة يائسة لتحويل مسار المعركة، لكن جهودهم باءت بالفشل ؛ ففى غمرة اشتداد المعركة لم يجد الروم البيزنطيون أمامهم إلا نشر الفوضى فى صفوف العرب عن طريق حرمانهم من العقل المدبر للمعركة ، فحاولوا اتباع الأسلوب العربى

ذاته مع سفينة القيادة العربية التى كان على متنها والى مصر وأمير البحر البارع عبد الله بن أبى سرح ، فألقوا عليها خطافاً وراحوا يجذبونها إليهم وكاد مسعاهم ينجح لولا استبسال الجنود المسلمين فى الدفاع عن قيادتهم . إذ ألقى جندى يدعى « **علقمة** » بنفسه على السلاسل التى كانت تجذب سفينة أمير البحر وبذل جهداً عظيماً من أجل قطع السلسلة دون مبالاة بسهام العدو التى أصابت جسده ، وتمكن علقمة من إنجاز هذا العمل الفذ وأنقذ بذلك سفينة القيادة من الأسر وحال دون انعكاس مسار المعركة وأتاح لأمة الإسلام والعروبة أن تظفر بثمار واحد من أعظم انتصاراتها ..



س ١٥ وماذا كان رد فعل الجيش العربى على محاولة أسر القائد ابن أبى سرح ؟



صنايد العرب وسيوفهم تلوح بالنصر

ج : استشاط الجند العرب غضباً وقاتلوا بضراوة أشد من ضراوة الأسود ، وردوا على محاولة الروم بهجوم باسل على سفينة القيادة التى كان يستقلها الإمبراطور قنسطانز وتمكنوا من اقتحامها

وتداولوا جنودها وحرس الإمبراطور بسيوفهم فتساقطوا قتلى . وكاد الإمبراطور يقع فى الأسر لولا مسارعته بالفرار عن طريق التنكر فى زى ضارب طبل والانتقال إلى ظهر مركب آخر انطلق به إلى صقلية بجنوب إيطاليا ..

ومع ذلك لم تكن الهزيمة وخيبة الأمل العظيمة هى كل مالاقاه قنسطانز ، فمؤرخنا الكبير « **الطبرى** » أورد فى سفره القيم « **تاريخ الرسل والملوك** » خبر إصابة الإمبراطور قنسطانز (الذى يشير إليه الطبرى باسم « **قسطنطين** ») بجراح من أثر المعركة ألزمته الفراش فترة طويلة ..

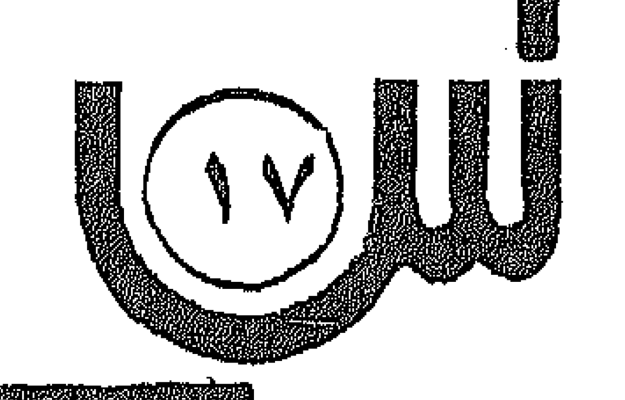


س (١٦) وماذا عن مصير الجيش البيزنطى الذى كان على ظهر الأسطول ؟



أثار الهزيمة تظهر على الأسطول البيزنطى

ج : يقال : إن عدد ورجال هذا الجيش قد بلغ عشرين ألفاً ، وهؤلاء سقط معظمهم قتلى وأسر بعضهم ، ولم يفلح فى الهرب سوى عدد قليل منهم .



ماهى النتائج المباشرة لوقعة ذات الصوارى ؟

ج : قضت المعركة قضاءً مبرماً على الأسطول البيزنطى فزال التهديد عن شواطىء الشام ومصر وعن الأسطول العربى ، وأصبح الطريق مفتوحاً أمام امتلاك المزيد من القواعد البحرية فى البحر الأبيض مما قدم المزيد من الدعم للفتوح الإسلامية وهى تواصل تقدمها غرباً .. وغنم المسلمون فى هذه الموقعة عدد كبير من السفن ضُمت إلى أسطول مصر فزادت من قوته وهيأته لدور أكبر فى حماية السواحل الإسلامية والتصدى لغارات السفن المعادية .



وما هى النتائج غير المباشرة ؟

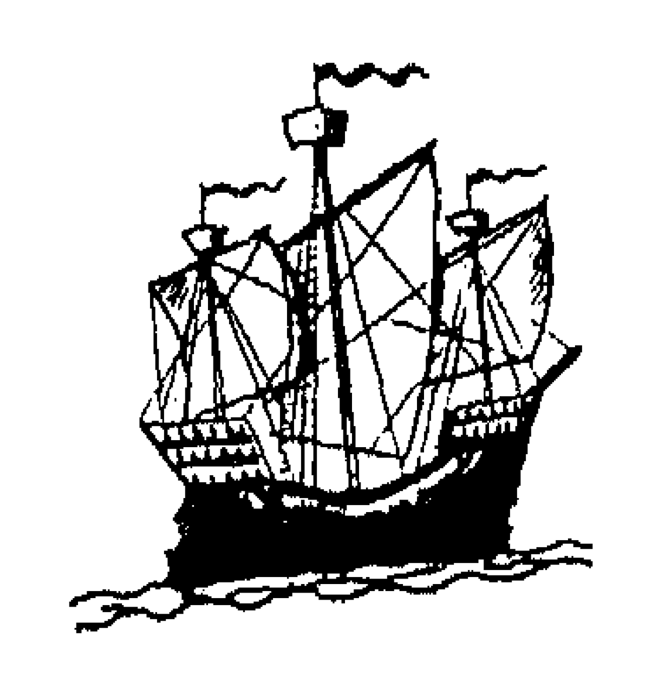
ج : أدت الهزيمة الساحقة التى لاقاها الروم فى موقعة ذات الصوارى إلى تخلى قنسطانز وخلفائه نهائياً عن فكرة طرد العرب من مصر والشام واكتفوا بموقف الدفاع عن الحدود الجنوبية لدولتهم فى آسيا الصغرى وهى الحدود المتاخمة لشمال سوريا . وحدث هذا التحول الإستراتيجى الهام فى وقت كانت الدولة العربية تعانى فيه من الفتن والاضطرابات بعد مقتل عثمان ، ومن سلسلة الأحداث التى إنتهت بالحرب الأهلية العربية بين جيشى على ومعاوية . ولولا أن مَنّ الله على الأمة بالنصر الكبير الذى اضطر الروم للتقوقع داخل حدود



نهاية الصلف البيزنطى على أيدى العرب

دولتهم ، لكانوا قد انتهزوا فرصة الحرب الأهلية للتقدم بجيوشهم واستعادة مصر والشام ، وربما أيضاً السعى للقضاء على الإسلام فى دياره . لكن الله سبحانه وتعالى هو مسبب الأسباب وقد جعل من موقعة ذات الصوارى سبباً لإصابة الروم بالإحباط والعقدة النفسية التى كانت خير درع للدين الحنيف إبان محنة أهله بالفتنة الكبرى ومضاعفاتها ! .

والنتيجة غير المباشرة الأخرى أنها حلت « **عقدة العرب** » من البحر وحررتهم من خوفهم القديم منه ومنحتهم الثقة فى قدراتهم الملاحية ، فانطلق البحارة العرب والمسلمون يجوبون البحر المتوسط وقد خلا من العدو البحرى الأكبر . ومن البحرين المتوسط والأحمر اندفع بعد ذلك الربابنة المسلمون يرتادون البحار الجنوبية ، وانطلقت القوة البحرية العربية من عِقالها لتصبح مارداً عظيماً يُسيطر على بحار العالم من بحر الزقاق « **مضيق جبل طارق** » غرباً إلى بحر الصين شرقاً . وتقدمت فنون الملاحة تقدماً عظيماً على أيدى رجال البحر العرب ، واصطبغت تماما بصبغة عربية بدرجة إنتقل معها الكثير من المصطلحات الملاحية والبحرية العربية إلى معاجم اللغات الأخرى ... وكانت نقطة البداية فى ذلك كله هى انتصارنا العظيم فى وقعة ذات الصوارى الخالدة .



س (١٩) أين موقع معركة ذات الصوارى بين المعارك البحرية الكبرى التى سجلها تاريخ البشرية ؟ .

ج : الحجم الحقيقى للمعركة يقاس دائماً بآثارها ومقدار التحولات التاريخية التى ترتبت عليها ، لابمقدار القوات التى شاركت فيها أو مستويات تسليحها . وبناء على هذا المعيار تعد معركة ذات الصوارى واحدة من المعارك البحرية الحاسمة الأربع فى تاريخ البشرية ، والثلاث الأخريات هى :

● **موقعة أكتيوم البحرية عام ٣١ ق . م** : وفيها دار القتال بين أسطول رومانى بقيادة « **ماركوس أنطونيوس** » [مارك أنطونى حسب النطق الإنجليزى] واسطول رومانى آخر بقيادة أوكتافيوس



الأمبراطور الرومانى « ماركوس أنطونيوس »

« **أغسطس** » [وهنا نستخدم لفظ « **الرومان** » لأن الحديث يدور عن الرومان الإيطاليين الأصليين وقبل ظهور الإمبراطورية البيزنطية بأربعة قرون] . وقد اشترك فى الموقعة إلى جانب أسطول « **أنطونيوس** » أسطول بطالمة مصر ، وكانت مصر فى ذلك العصر تحكمها الملكة كليوباترا آخر ملوك أسرة البطالمة الإغريقية الأصل التى ظلت تحكم مصر منذ وفاة الإسكندر الأكبر عام ٣٢٣ ق . م .. وأسفرت المعركة عن هزيمة أنطونيوس وحليفته كليوباترا ، وتبع ذلك استيلاء الجيوش الرومانية على مصر والشام وتحول البحر الأبيض المتوسط إلى بحيرة رومانية يمرح فيها الأسطول الرومانى .

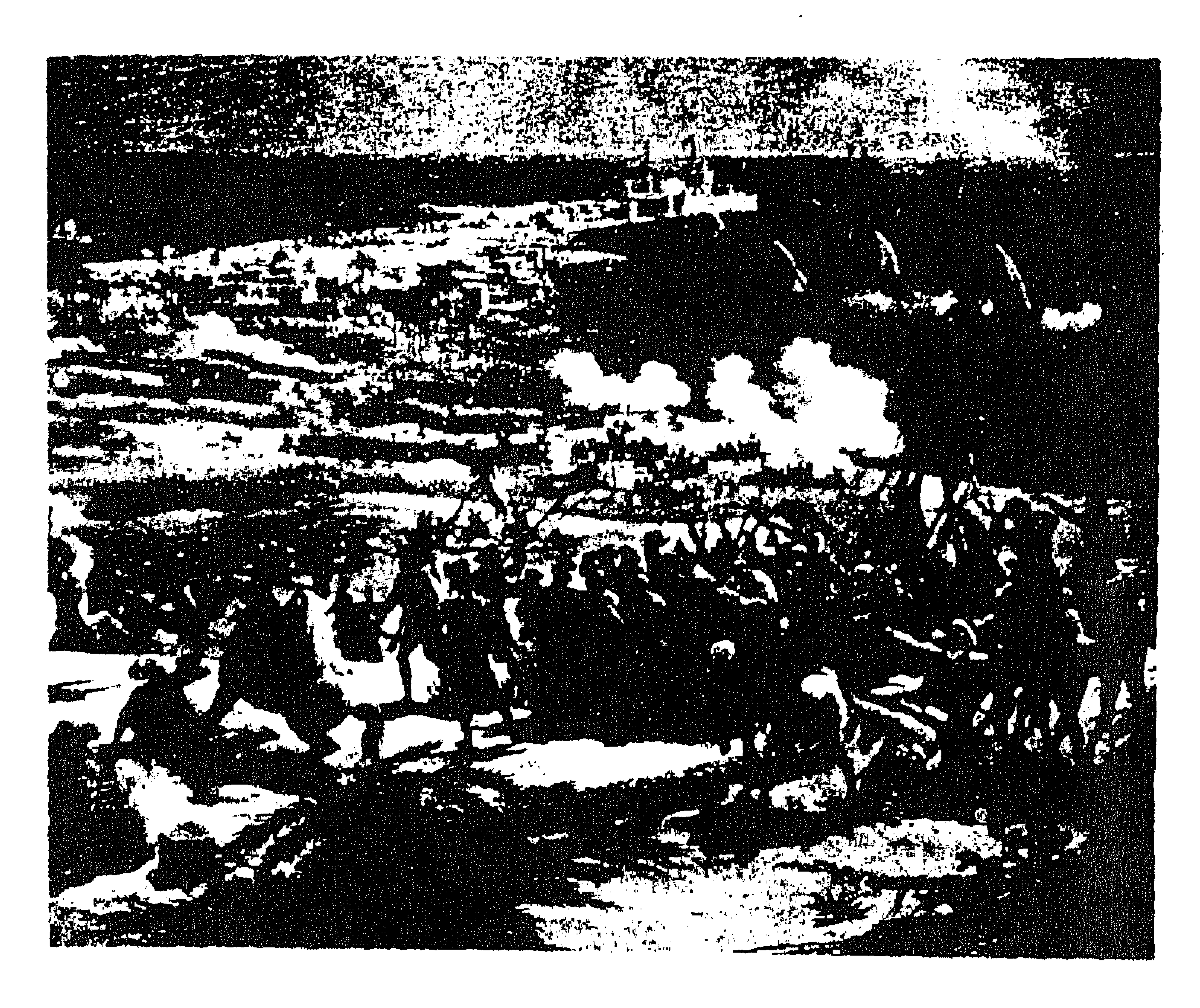


ملكة مصر « كليوباترا »

● **معركة تدمير الأرمادا عام ١٥٨٨ م** : **الأرمادا** » كلمة إسبانية معناها « **أسطول حربى** » ، وكان ملك اسبانيا فيليب الثانى قد أرسل أسطولا فى غاية الضخامة والقوة لغزو إنجلترا ، لكن الأسطول الإنجليزى بقيادة « **هاوارد أوف إفنجهام** » تصدى له ودارت الاشتباكات بين الأسطولين فى القنال الإنجليزى « **بحر المانش** » ؛ ولعبت عوامل كثيرة دورها فى إيقاع الهزيمة الساحقة بالأرمادا ، منها عدم خبرة القائد الإسبانى « **الدوق دى مدينة سيدونيا** » الذى كان ضابطاً بريا لا علاقة له بقيادة الأساطيل ، ومنها براعة القرصان الإنجليزى فرانسيس دريك الذى شارك فى التخطيط الفعلى للمعركة وتولى قيادة الهجمات المؤثرة بسفن المدفعية الخفيفة . وكان لهذه المعركة أثر كبير على تاريخ العالم لأنها نقلت السيادة البحرية على بحار العالم من الأسطول الاسبانى إلى الأسطول البريطانى ، وكانت فى آن واحد نقطة بداية انهيار الإمبراطورية الإسبانية ونقطة بداية النمو السريع والهائل للإمبراطورية البريطانية التى أتى عليها يوم لم تكن فيه الشمس لتغرب عن ممتلكاتها ..

ومما يتصل بهذه الموقعة البحرية من الطرائف أنها الموقعة البحرية الوحيدة بين المواقع البحرية الفاصلة التى لم تكن لها علاقة بمصر بطريقة أو بأخرى ، ومنها أيضاً أن لفظ « **الأرمادا** » ما زال حتى اليوم يطلق على أية قوة بحرية كبرى برغم فداحة الهزيمة التى منى بها الأرمادا الأسبانى فى هذه الموقعة .

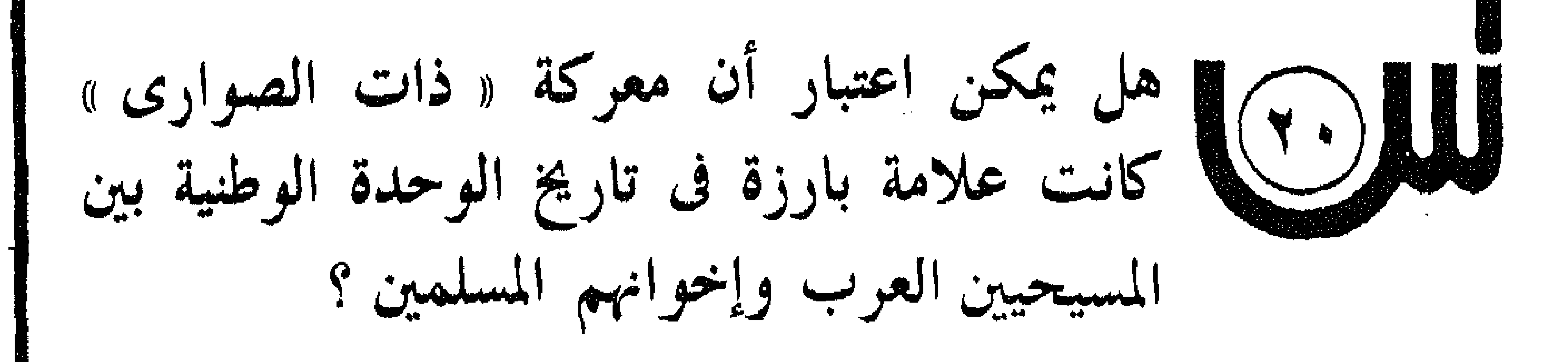
● **موقعة أبى قير البحرية عام ١٧٩٨ م** والتى تعرف أيضاً بموقعة النيل ، وفيها فاجأ الأسطول البريطانى بقيادة أمير البحر « **نلسون** » الأسطول الفرنسى فى مياه أبى قير قرب الإسكندرية ودمره ، وأسفرت المعركة عن قطع خط الاتصال بين فرنسا وحملة



جانب من معركة أبى قير البحرية بين الأسطول الفرنسى والأسطول الإنجليزى

نابليون بونابرت على مصر فعُزِلت القوات الفرنسية وفشلت الحملة فى تحقيق هدفها البعيد وهو السيطرة على الطرق البحرية المؤدية إلى الهند ومن ثم عَزْل بريطانيا عن مستعمراتها والتمهيد للغزو الفرنسى للجزر البريطانية ذاتها فى نهاية المطاف .

ومن وجهة نظرنا فنحن نرى أن معركة ذات الصوارى كانت أبعد فى آثارها من هذه المعارك الثلاث ، فكل من هذه المعارك دارت بين قوتين أوربيتين وكانت النتيجة دائماً واحدة وهى المزيد من التفوق البحرى لإحدى القوى الأوربية ، أما معركتنا الخالدة فقد نقلت السيادة البحرية بين عالمين مختلفين : من أوروبا إلى العالم العربى .

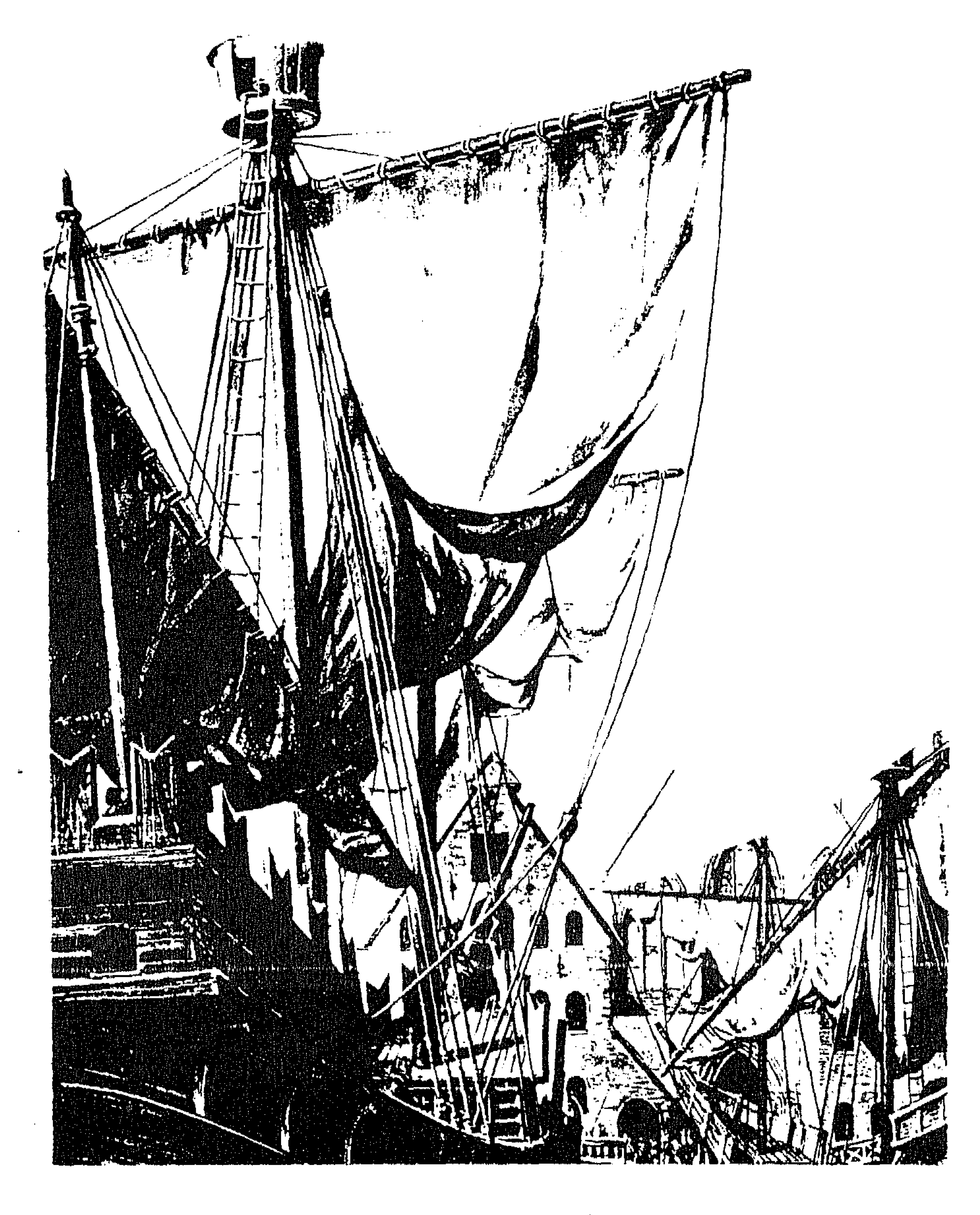


س ٢٠ هل يمكن اعتبار أن معركة « ذات الصوارى » كانت علامة بارزة فى تاريخ الوحدة الوطنية بين المسيحيين العرب وإخوانهم المسلمين ؟

ج : هذا صحيح تماماً ، فقد ساهم أقباط مصر ونصارى الشام فى بناء الأسطولين المصرى (**الذى قاده والى مصر**) والشامى (**الذى قاده والى الشام**) وساهم الملاحون والمهندسون البحريون والعسكريون من هاتين الطائفتين فى الإبحار بالأسطولين وإدارة شئونهما الفنية .

ويشير مؤرخنا « **ابن جرير الطبرى** » إلى إشتراك مراكب قبطية تحمل على متنها جنداً من الأقباط فى هذه المعركة ، ومعنى ذلك أن دماء الأقباط المسيحيين قد سالت وإختلطت بدماء العرب المسلمين دفاعاً عن الدولة العربية الإسلامية وتوقياً لعودة المحتل الرومى الغاصب لأرض النيل ، وأن الأقباط كان لهم إسهام مشهود به فى الفتوح الإسلامية التى أرست أسس دولة التسامح والإخاء والعدل . وموقف الولاء والإخلاص هذا قد تأكد مرة أخرى حين جاءت الحملات الصليبية إلى العالم العربى وهى تخفى نوازعها العنصرية وأهدافها الاستعمارية وراء شعار الصليب ؛ فلم تَنْطل دعاواها وحيلها على أقباط مصر الذين كانوا يدركون حقيقة نوايا هؤلاء الغزاة وما يضمرونه لنصارى الشرق ، وكانوا على علم تام بالأعمال الإجرامية البشعة التى إرتكبها الصليبيون فى حق المسيحيين البيزنطيين وكنيستهم الكبرى فى القسطنطينية . وكان الاختيار الطبيعى لأقباط مصر هو الوقوف إلى

جانب إخوانهم وبنى وطنهم المسلمين يعضدونهم بخبراتهم فى بعض المجالات ، بل وبرز منهم فى ميادين القتال أبطال كبار مثل الفدائى « **عيسى العوام** » رجل المهام الصعبة عند صلاح الدين .



أشراع الأسطول العربى ترفرف بالنصر

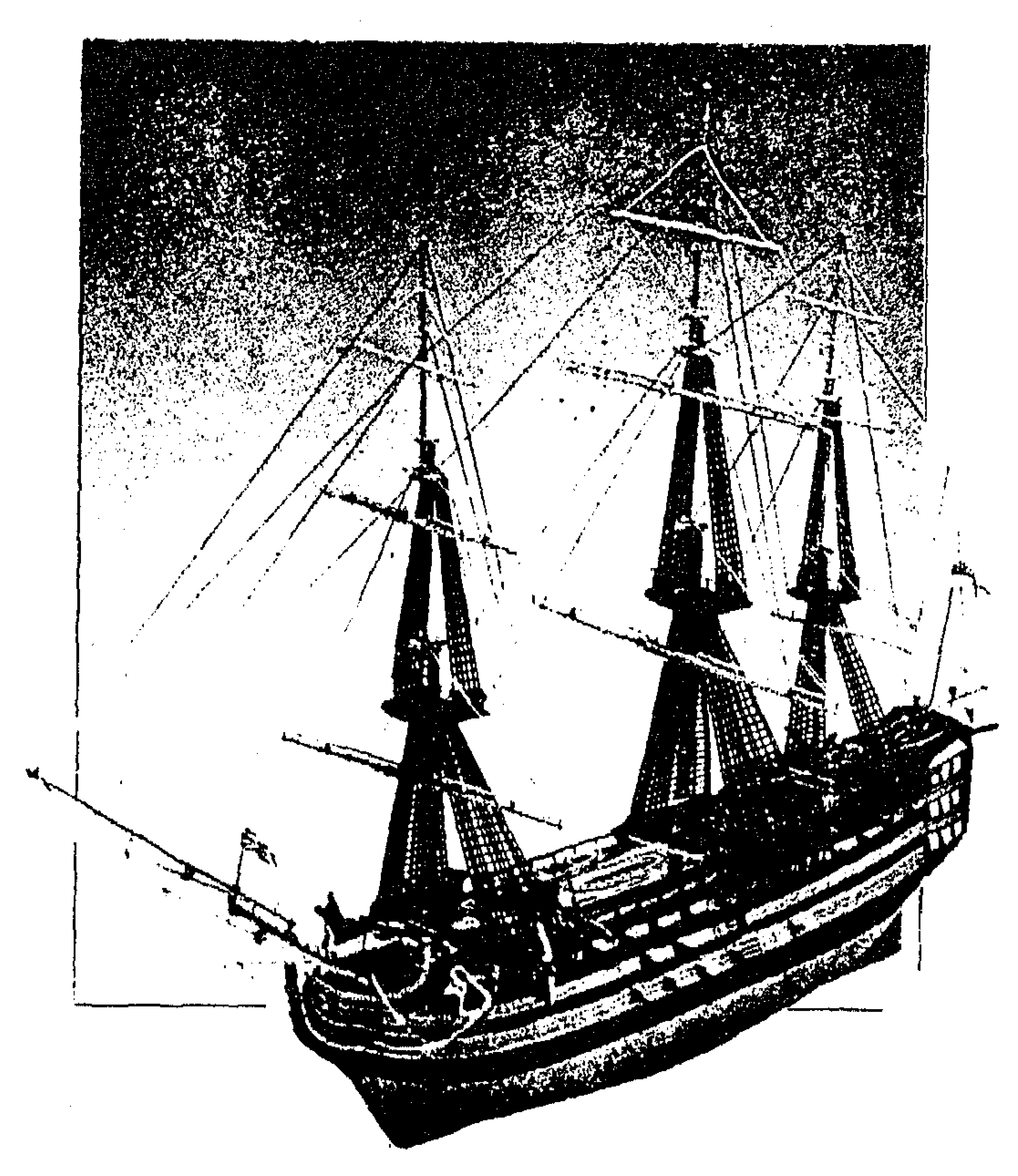


طرائف عن الملاحة العربية

صناعة السفن العربية

أُنشئت فى أنحاء الدولة العربية الإسلامية العديد من دور صناعة السفن ، ومن أهمها الدار التى أنشئت عام ٥٤ هـ بجزيرة الروضة فى مصر إبان خلافة معاوية بن أبى سفيان .

وبدأ صناع السفن المسلمون بنفس طُرُز السفن التى عرفتها الأمم السابقة ، لكنهم أخذوا يطورونها بالتدريج ويبتكرون طُرُزاً جديدة تلائم الأغراض المختلفة . ومن أنواع السفن الحربية التى عرفها الأسطول العربى ما يلى :



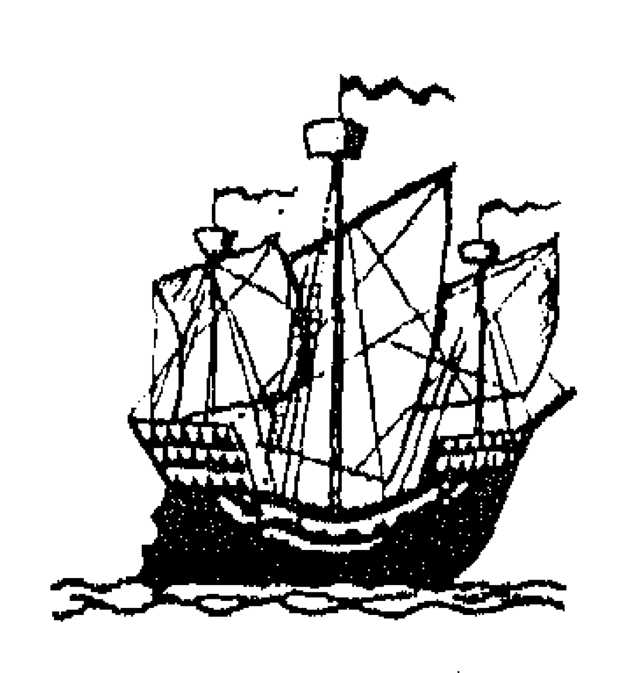
الحَرّقات [مفردها : « **حرقات** »] : مراكب متخصصة فى مهاجمة سفن العدو وقذفها بالنفط الحارق .

الأغربة [مفردها : « **غراب** »] : سفن صغيرة وسريعة وظيفتها مطاردة سفن العدو وخرقها بواسطة ثاقبة حديدية ضخمة مثبتة فى المقدمة . وكانت المقدمة تصنع على هيئة رأس غراب ، وهذا هو السبب فى تسميتها بالأغربة .

الشوانى [مفردها : « **شَوْنة** »] : سفن حربية ذات أبراج للدفاع والهجوم .

الشباكات [مفردها : « **شباكة** »] : سفن صغيرة ثلاثية الصوارى إستخدمها المجاهدون البحريون فى مطاردة مراكب الفرنجة فى البحر الأبيض المتوسط .

وابتداء من أواخر العصر الأموى (**ثلاثينيات القرن الثانى الهجرى**) استعملت النار الإغريقية فى الأسطول العربى بعد التوصل إلى أسرار تركيبها وتطويرها .

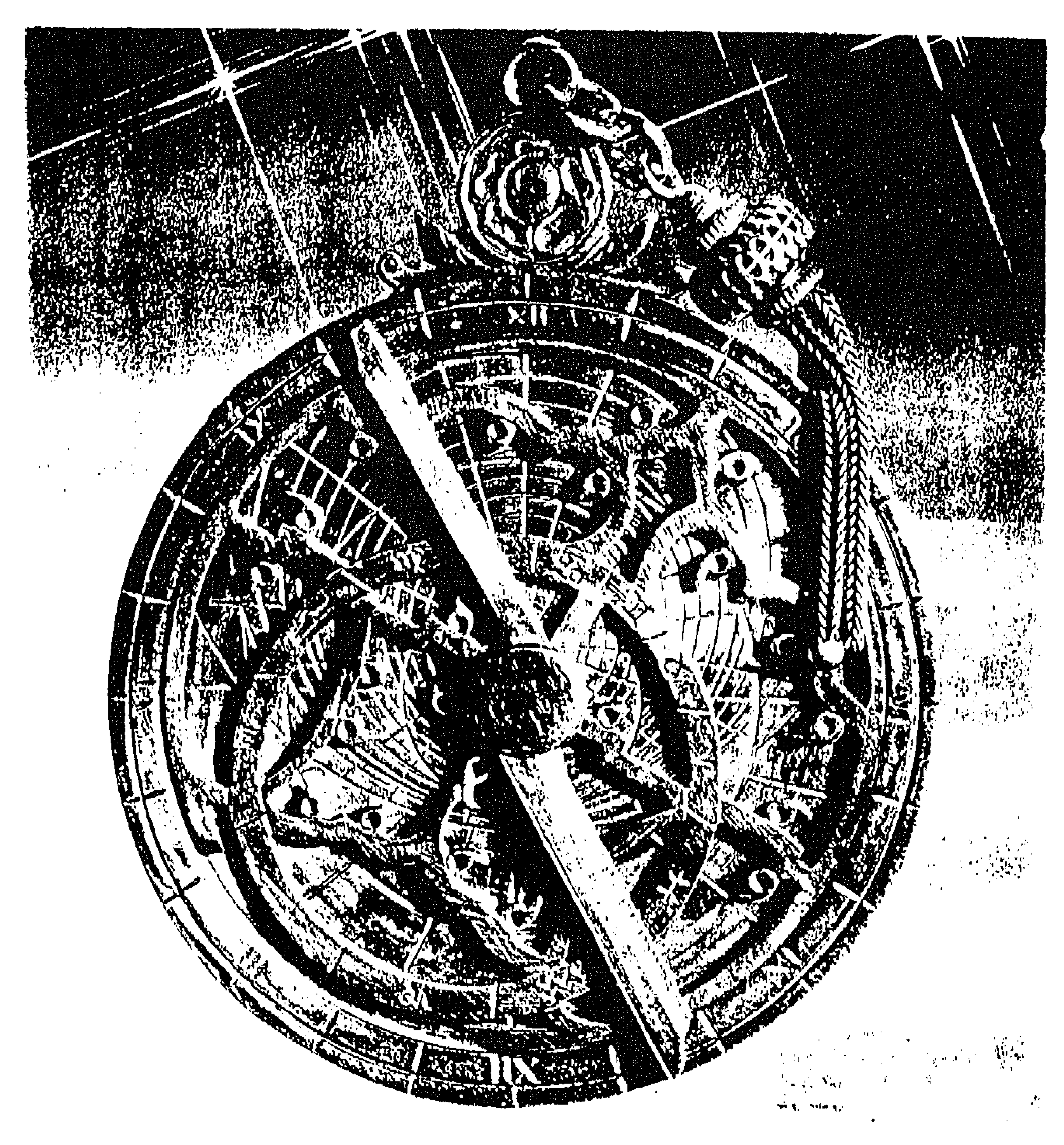


الأدوات والخرائط الملاحية العربية :

● ذكر المؤرخ الفرنسى « **سيديو** » أن العرب – وليس الصينيون – هم أول من استعمل البوصلة ، وأنهم استعملوها فى الأسفار البحرية والبرية وفى ضبط المحاريب . والبوصلة طبعاً هى العين التى يرى بها الملاح ويحدد إتجاهه فى أعالى البحار ، ولولاها لما كانت هناك كشوف جغرافية على النحو الذى نعرفه .

● نقل العرب دراسة الفلك من « **دائرة التنجيم** » إلى « **دائرة العلم** » واستفادوا من حقائقه فى حساب التقاويم وفى علم الملاحة ؛ واستعملوا فى الرصد آلة الإسطرلاب التى تعددت أنواعها وتزايدت دقتها ، ويجدر بالذكر أن العالم الرياضى والفلكى العربى على بن عيسى الحرانى اشتهر باسم « **ابن عيسى الأسطرلابى** » .

● كان العرب على علم تام بكروية الأرض ، وقام العالم الرياضى والفلكى ثابت بن قرة على رأس مجموعة من العلماء بتقدير دقيق – بالنسبة لعصره – لنصف قطر الأرض بتكليف من الخليفة العباسى المأمون ، وهو التقدير الذى كان أساساً للكثير من الحسابات العلمية الأخرى التى ساعدت على الارتقاء بفن رسم الخرائط مما أسهم كثيراً فى نجاح الكشوف الجغرافية . ويجدر بالذكر أن ثابت بن قرة كان يونانى الأصل مثل إراتوستنيز « **العالم السكندرى الذى كان أول من قدر نصف قطر الأرض** » ، لكنه كان عربى المنبت والثقافة وأحد أعلام الحضارة الإسلامية .

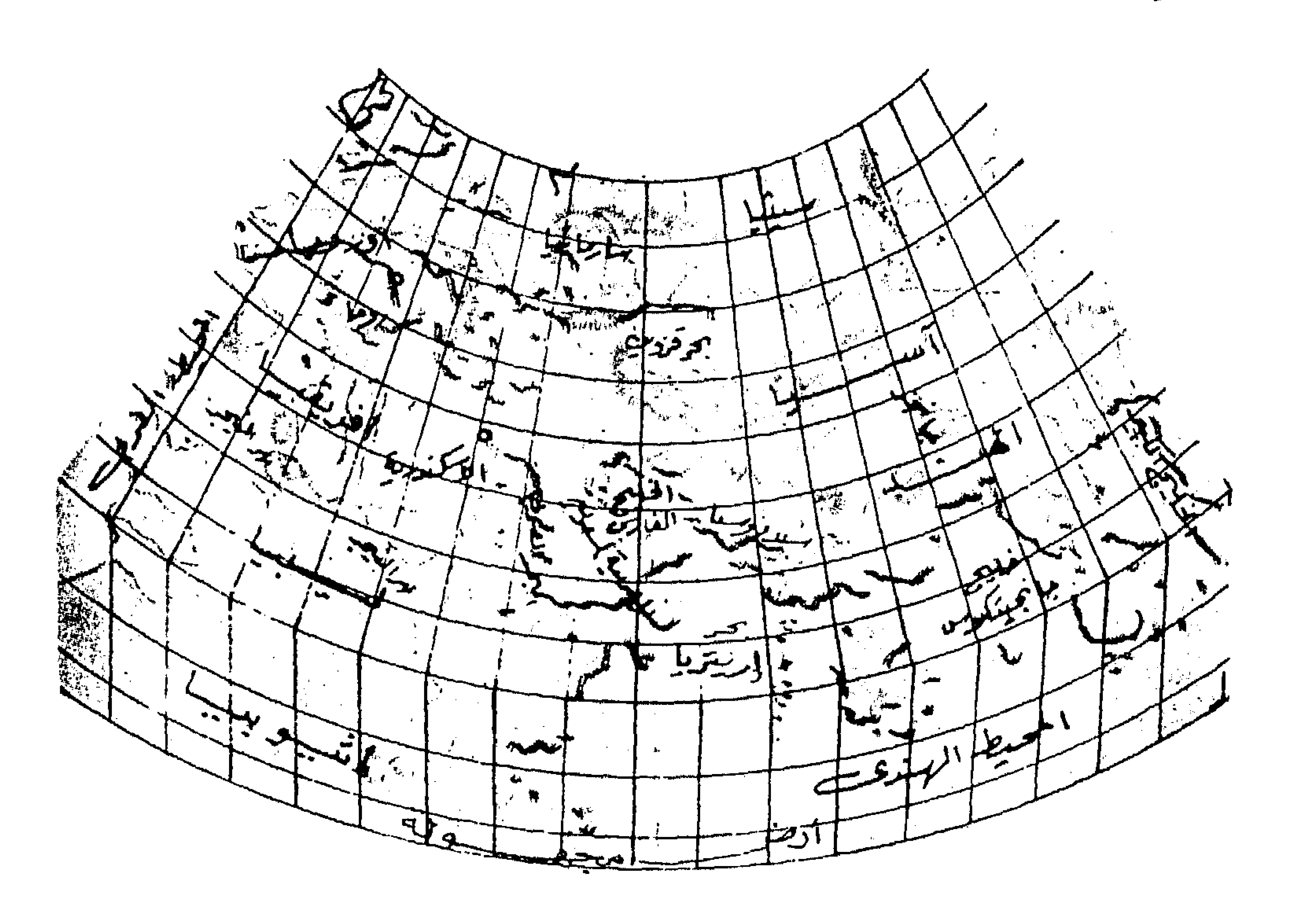


الإسطرلاب

● صحح العرب النظريات الفلكية التى وضعها العالم اليونانى بطليموس ، وقسموا سطح الأرض إلى سبعة أقاليم تتباين فى أطوال النهار . كما صححوا أيضاً أخطاء بطليموس فى تحديد خطوط العرض والتى بلغت عدة درجات ، فى حين لم تزد الأخطاء العربية عن بضع دقائق (**الدرجة = ٦٠ دقيقة**) .

● رسمت فى عهد الخليفة المأمون أول خريطة إسلامية للعالم ، وقد سميت . « **الصورة المأمونية** » وكانت أدق من خريطة

بطليموس . وبعد ذلك تقدم فن صنع الخرائط وبلغ مستوى عاليا من الإتقان فى ظل الحضارة العربية الإسلامية ، وقد صنع العالم العربى الفذ « **الإدريسى** » - الذى عاش بين عامى ٤٩٤ و ٥٦٢ هـ - كرة أرضية ضخمة رسم عليها خريطة العالم القديم (**آسيا وإفريقيا وأوروبا**) ، ونبه إلى أن الكرة الأرضية لا تتوازن إلا إذا كانت هناك يابسة أخرى « **قارات أخرى** » ؛ وبذلك يكون الإدريسى قد تنبأ بوجود العالم الجديد « **أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية** » ، لكن مامن أحد اليوم يطبل ويزمر لذكرى هذا العالم العربى الجليل كما يفعلون مثلاً مع عالم الكيمياء الروسى « **مندليف** » احتفاء بجدوله الدورى الذى تنبأ منه بوجود عناصر كيماوية غير معروفة .. لأن الإدريسى عربى ومندليف أوربى .



أقدم خريطة جغرافية للعالم رسمها بطليموس عام ١٥٠ بعد الميلاد

الرحلات والكشوف البحرية العربية

فى البحار الجنوبية والشرقية :

● كانت السفن الشراعية العربية الضخمة تجوب بحرى الزنج والحبشة (أى بحر العرب وشرق المحيط الهندى والبحر الأحمر حسب الأسماء الحالية) وبحار السند والهند والملايو وجاوة والصين (أى المحيط الهندى وبحر الصين الجنوبى) .

وفى القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى) أصبح العرب سادة المحيط الهندى وبحر الصين الجنوبى ، وصارت لهم جالية ومراكز تجارية فى سرنديب « **سريلانكا حالياً** » .

● وفى القرن الثالث الميلادى حرص العرب على إجراء اتصالات مباشرة بالصين فى هذا العصر المبكر الذى لم يكن فيه الأوربيون يعلمون شيئاً يذكر عن تلك البلاد .

وبعد ذلك توالت زيارات العرب لساحل الصين الجنوبى وأنشئوا لهم مراكز تجارية فى خانقو « **هانججو** » وكانتون ، واستقرت بهذه المراكز جالية إسلامية « **من عرب وفرس** » بلغت فى القرن الثالث الهجرى مائة ألف نسمة أغلبهم من التجار ورجال البحر ، وكان لهم فى الثغور الصينية – خصوصاً خانقو – مساجدهم ومدارسهم وقضاتهم . وصار الجزء الأكبر من تجارة الصين الخارجية ينقل بواسطة السفن العربية .

● ووصل الملاحون العرب فى رحلاتهم إلى المحيط الهادى ، ومن المرجح أنهم وصلوا فعلاً إلى اليابان .

● وارتادت السفن التجارية العربية الملايو وجزر الهند الشرقية « **إندونيسيا** » ، واستوطنت جالياتهم هذه الجزر خصوصاً جاوة وسومطرة . وكان أغلب التجار العرب الذين إرتادوا هذه البلاد من أبناء اليمن وعمان وحضرموت ، وقد تميزوا بحرصهم الشديد على إقامة الشعائر الإسلامية وتمسكهم القوى بروح الإسلام وآدابه فى كل معاملاتهم وكانوا بحق خير سفراء للإسلام إلى تلك البقاع مما شجع شعوبها على الإقبال العظيم على إعتناق الدين الحنيف .. الأمر الذى يدحض افتراءات أعداء الإسلام الذين زعموا انتشاره بالسيف .

فى المحيط الأطلسى :

ارتاد الملاحون العرب « **المغاربة والأندلسيون** » المحيط الأطلسى واكتشفوا جزر الخالدات « **واسمها الغربى جزر الأزور** » وجزر الكنارى ، وتوغلوا فى المحيط الأطلسى حتى إيرلندا..

ويعتقد بعض العلماء والباحثين أن العرب سبقوا كولمبس إلى اكتشاف أمريكا ، وهذا الرأى مؤسس على أدلة علمية نجملها فيما يلى .

● نشر العالم « **ليو ويز** » الأستاذ بجامعة هارفارد الأمريكية كتاباً من أربعة أجزاء عنوانه « **إفريقيا وكشف أمريكا** » أشار فيه إلى وجود كلمات عربية فى بعض لغات الهنود الأمريكيين ، ورجح أن دخول تلك الكلمات يرجع لعام ١٢٩٠ ميلادية (أى قبل وصول كولمبس بقرنين وعامين) .

● أيد اللغوى العربى الكبير الأب « **أنستاس الكرملى** » نظرية الاكتشاف العربى لأمريكا ؛ واستشهد على صحتها بوجود كلمات عربية فى لغات الهنود الحمر ، وبالشبه الملحوظ بين بعض مظاهر

الحضارة الإسلامية ومظاهر الحضارات الهندية ، وكذلك وجود بقايا زنوج أفارقة دخلوا أمريكا بصحبة العرب قبل عصر كولمبس .

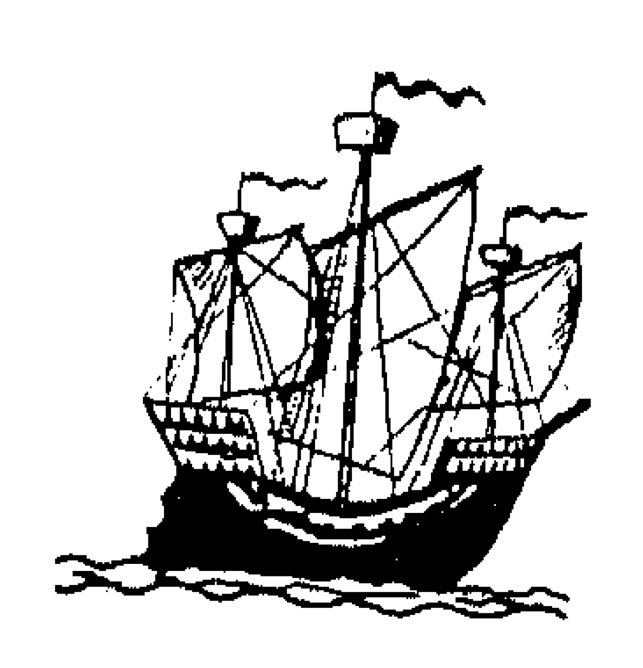
● نشر العالم « **بيرتون كلايد** » دراسة ذكر فيها أن آثار اللغة العربية فى لغات الهنود الأمريكيين كانت ملحوظة بصفة خاصة فى شاطىء خليج المكسيك .

● ذكر الإنجليزى « **سلدريك** » أن العرب كانوا يتجرون مع أمريكا قبل كولمبس بزمن طويل .

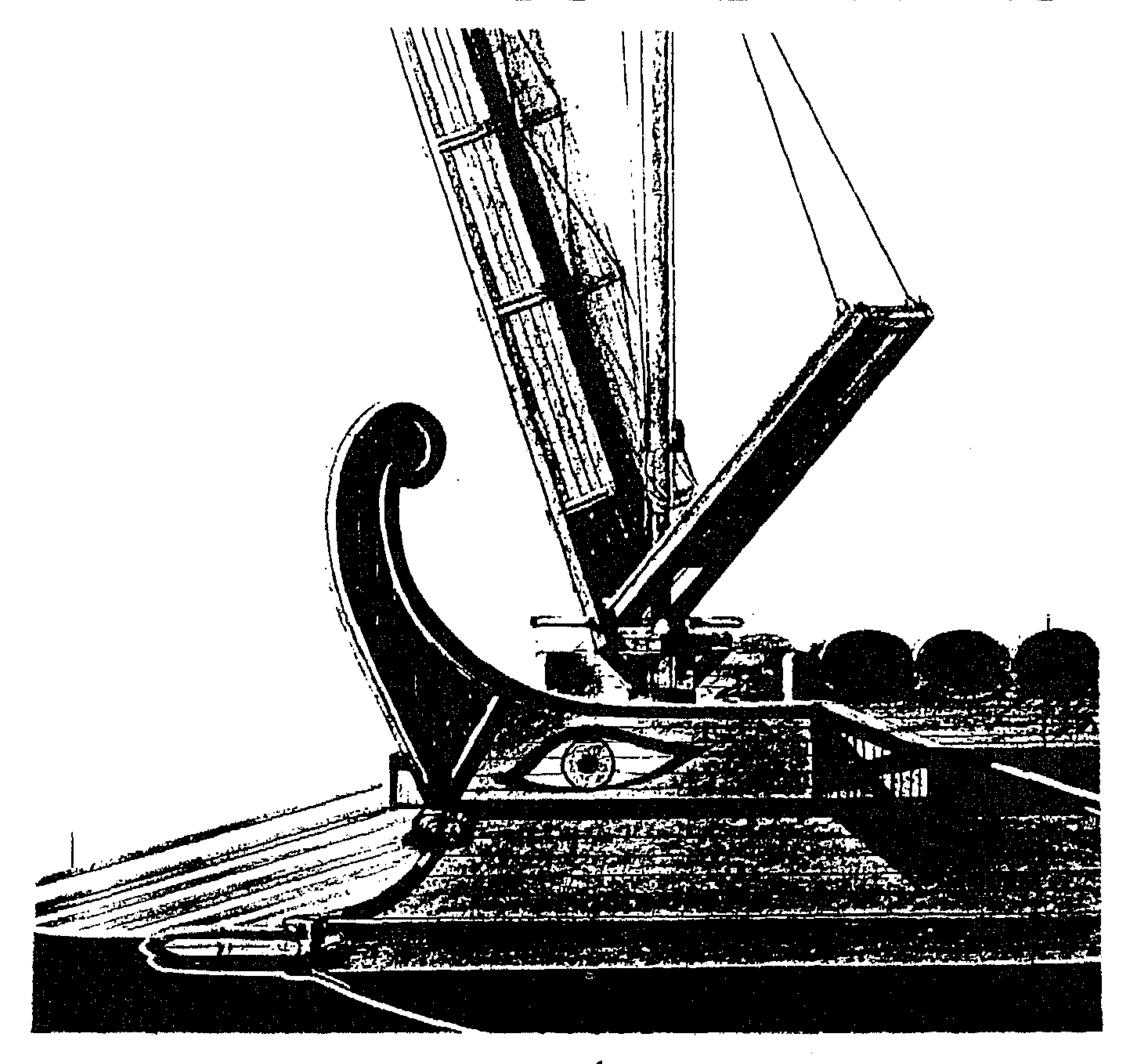
● فى لشبونة عاصمة البرتغال التى كانت تحت الحكم العربى عرفت - وقبل عصر كولمبس - خريطة لأمريكا من صنع العرب .

● ذكر الإدريسى أن ثمانية عشر رجلاً من عرب الأندلس غادروا شاطىء أسبانيا الغربى فى أواخر القرن الرابع الهجرى لاستكشاف المحيط الأطلسى فى مركب شراعى ، وأنهم ساروا غرباً ثم جنوباً حيث ألقوا مراسيهم بجزيرة ثم واصلوا الإبحار جنوباً فاكتشفوا جزيرة أخرى .

وهناك أمران يرجحان أن تكون الجزيرة الثانية إحدى جزر أمريكا : **الأول** أن هؤلاء الأندلسيين ذكروا أن سكان الجزيرة حُمْر اللون ، وهى صفة لبعض هنود أمريكا ؛ **والثانى** أنهم قدروا المسافة بينها وبين لشبونة بستين يوماً فى البحر .



الرتب العسكرية البحرية



Admiral : رتبة قادة الأساطيل ، وأصلها العربى « **أمير البحر** » .

ومن المضحكات المبكيات أننا نستخدم اليوم بعض هذه المصطلحات بصورتها الغربية المحرفة ، ولا نستخدم أصولها العربية أو كلمات عربية بديلة تناسب التغير الذى طرأ على المعنى ؛ ومن أمثلة ذلك أننا نقول « **ترسانة** » ولا نقول « **دار الصناعة** » ، ونقول « **كراكة** » ولا نقول « **حفارة** » أو « **حفار بحرى** » ...

من أعلام الملاحين العرب : أحمد بن ماجد

هو الربان العربى الماهر وعالِمُ البحار القدير شهاب الدين أحمد ابن ماجد النجدى ، الذى ولد بإمارة رأس الخيمة وعاش بدولة عُمان البحرية العظيمة بين عامى ٨٣٦ - ٩٣٦ هـ .

طاف أحمد بن ماجد ببحار الجنوب وكتب عن الملاحة والبحار ٤٠ مؤلفاً لعل من أشهرها المؤلفان التاليان :

« **الفوايد فى علم البحار والقواعد** » .

« **حاوية الاختصار فى أصول علم البحار** » .

فالأول موسوعة ملاحية شاملة تجمع علوم البحار فى اثنى عشر باباً وتشهد بالمستوى الرفيع الذى بلغته علوم الملاحة عند العرب ، **والثانى** أرجوزة (قصيدة من بحر الرجز) تجمع أسس علوم البحار فى حوالى ألف بيت ، ذلك أن أحمد بن ماجد لم يكن مجرد ملاحاً ، بل كان عالماً فذاً لم يكتف بعلوم البحار التقليدية بل عكف على دراسة بعض الظواهر الطبيعية مثل التيارات البحرية ولون ماء البحر وطبيعة قاعه ، وقام بدراسة أنواع الحيوان والطير الغريبة ، وصاغ أسماء عربية علمية تنم عن سعة المعرفة وحسن الذوق والإدراك .

تبرئة أحمد بن ماجد من تهمة إرشاد البرتغاليين إلى طريق الهند :

كانت تجارة التوابل العالمية فى يد العرب خصوصاً الدولة المملوكية فى مصر وسلطنات الشام ودولة عُمان البحرية القوية التى كانت أساطيلها القوية تجوب بحار الجنوب وتتولى جلب التوابل وغيرها



الملاح العربى أحمد بن ماجد

من سلع الهند والشرق الأقصى ؛ وحين تمكن الملاح البرتغالى فاسكو داجاما من الإبحار إلى الهند بين عامى ١٥٠٢ - ١٥٠٣ م عن طريق الدوران حول رأس الرجاء الصالح فقدت الممالك العربية هيمنتها على الطرق التجارية ، وقد نسبت إلى أحمد بن ماجد تهمة إرشاد داجاما إلى طريق الهند .

وحقيقة الأمر : أن هذه التهمة محض افتراء لا أساس له على الإطلاق ؛ فمن ناحية لا يعقل أبداً أن عالما مثقفاً مثله يمكن أن يفوته أن الطرق التجارية هى مصدر ثراء العرب وعزهم ، ومن ناحية أخرى كان أحمد بن ماجد مسلماً تقياً لا يبيح له دينه مثل هذه الخيانة ولا يعقل أن يسلم تجارة قومه للبرتغاليين وهو القائل فى أرجوزته :

ركبت على اسم الله مَجْرَىٰ سفينتى وعجلت فيها بالصلاة مبادراً

وهو القائل أيضا :

« **وينبغى أنك إذا ركبت البحر تلزم الطهارة ، فإنك فى السفينة ضيف من أضياف البارى عز وجل فلا تغفل عن ذكره** » .

وأصل هذه التهمة البغيضة خطأ علمى وقع فيه المستشرق الفرنسى « **جابرييل فران** » حين نشر عام ١٩٢٢ رسالة علمية عن الملاحة العربية نسب فيها إلى أحمد بن ماجد القيام بإرشاد فاسكو داجاما إلى طريق الهند معتقداً أن فى نسبة ذلك إليه تشريفاً له ، أو لعله - وهذا هو الغالب - كان يرمى من وراء ذلك إلى غرض خبيث وكأنما لسان حاله يقول : " **سننال منكم دائماً .. وإذا لم نستطع أن ننال منكم ما نبغى بأيدينا ، فسوف نناله بأيديكم أنتم** "...

وقد تقصى عالمنا الكبير الدكتور أنور عبد العليم (**أستاذ علوم البحار وخبير تاريخ الملاحة العربية**) هذه التهمة وتوصل من خلال البحث العلمى إلى براءة أحمد بن ماجد ، وأوضح أن الذى أرشد داجاما كان ملاحاً هندياً اسمه المعلم « **كانا** » أو « **كاناكا** » .

العرب والمصطلحات الملاحية

يقول المستشرق النمساوى البارون **فون كريمر** فى بعض كتاباته :

« ومما يوضح لنا أن الأسطول العربى القديم كان نموذجاً لأساطيل الأقطار الأوروبية أن كثيراً من المصطلحات العربية البحرية لا تزال شائعة على ألسنة البحارة فى جنوب أوروبا » .

ويجىء المستشرق الإيطالى **جويدى** ليؤكد ما سبق فى مقال كتبه بالعربية عن آثار الحضارة العربية فى إيطاليا ، يقول فيه بالحرف الواحد :

« ويجدر هنا التنبيه إلى أن تسمية كثير من المراكب الصغيرة عندنا أصلها من العرب وفى ذلك إشارة إلى سعيهم فى نجاح الملاحة ، ومن هذا القبيل :

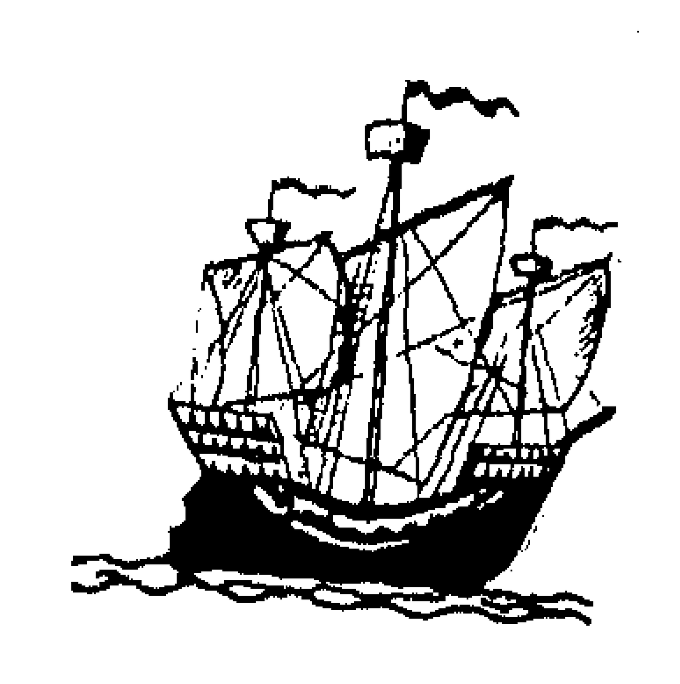
Feluca, Filuca أى الفلوكة .

Carraca أى الحراقة .

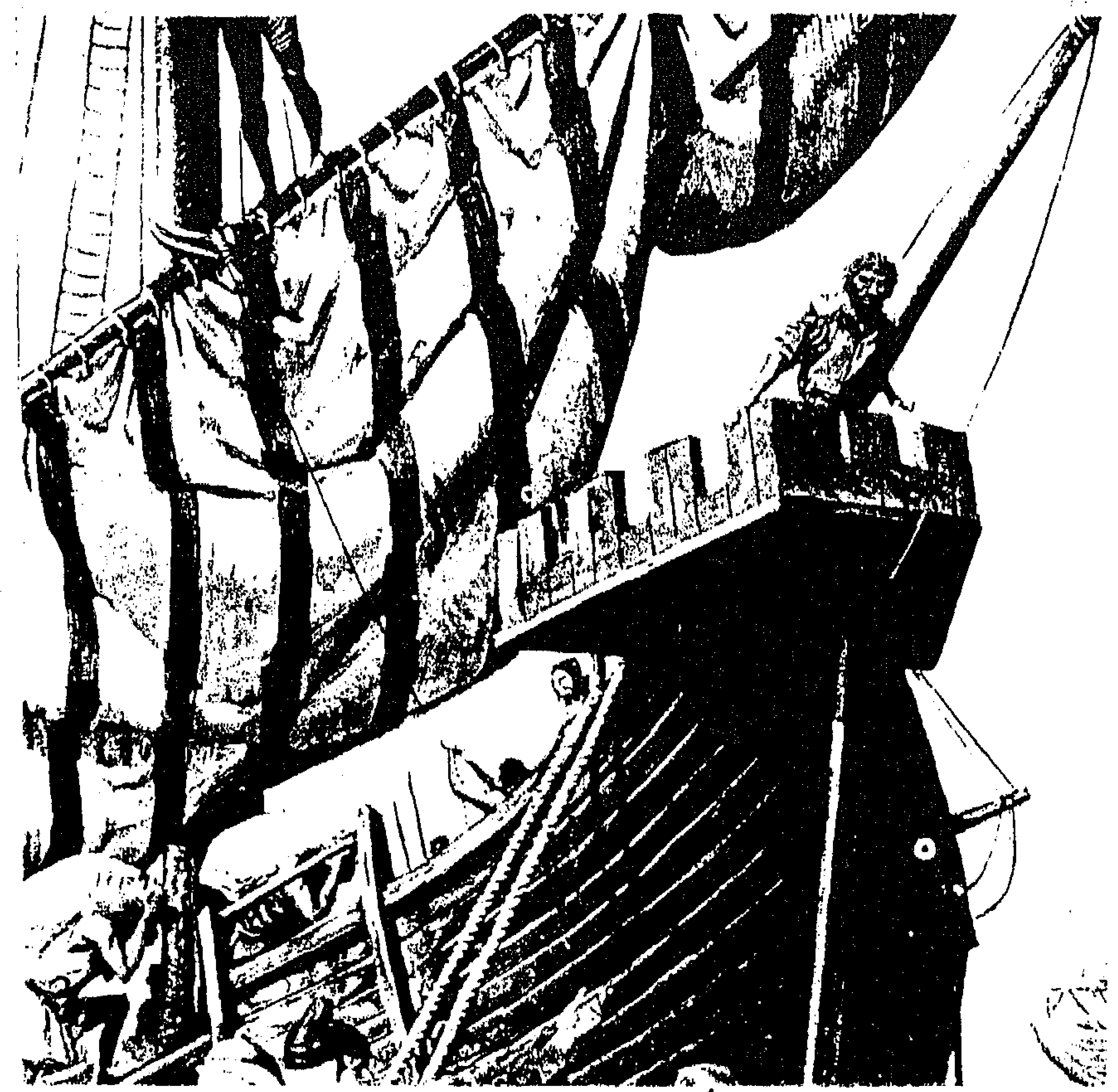
Giarma أى الجرم .

Raiso أى رئيس المركب .

وبالإضافة إلى ما ذكره **جويدى** عن اللغة الإيطالية فاللغات الأوروبية الأخرى تحتوى على عدد كبير من المصطلحات الملاحية العربية ، وفيما يلى بعض ما يوجد منها فى اللغة الإنجليزية :



المصطلحات الخاصة بالسفن وصناعتها



Carrack : وأصلها « **قُرقور** » وَهى سفينة شراعية ضخمة [وربما يكون أصلها caracca الإيطالية ومن ثم « **حراقة** »العربية كما ذهب جويدى] .

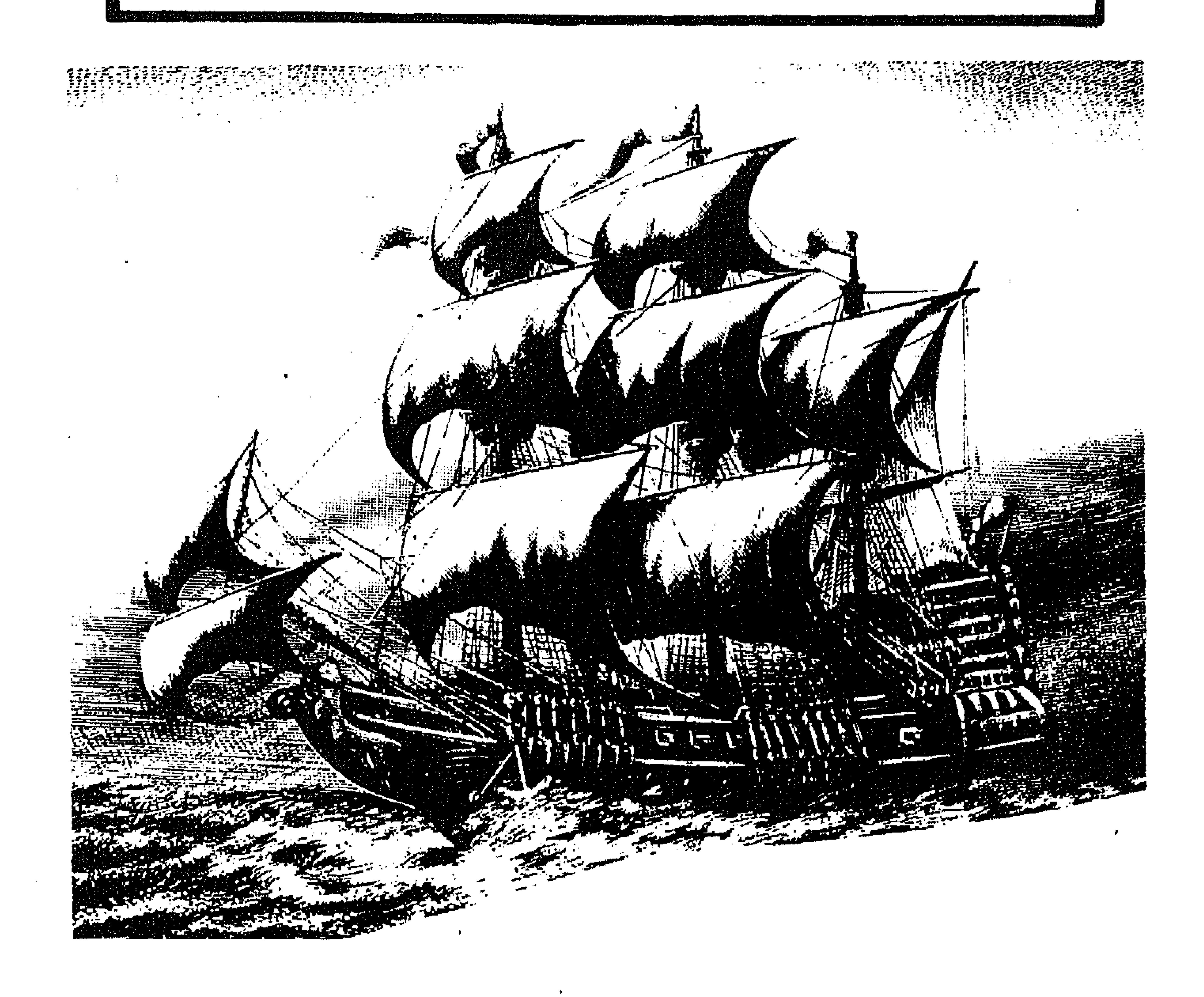
Grab : وأصلها « **غراب** » .

Mizzen : **وأصلها** « **المزين** » وهو شراع ينصب على الصارى الخلفى .

Arsenal : دار صناعة السفن وأصلها « **دار الصناعة** » .

Xebec : وأصلها « **الشباكة** » .

المصطلحات الخاصة بالرياح

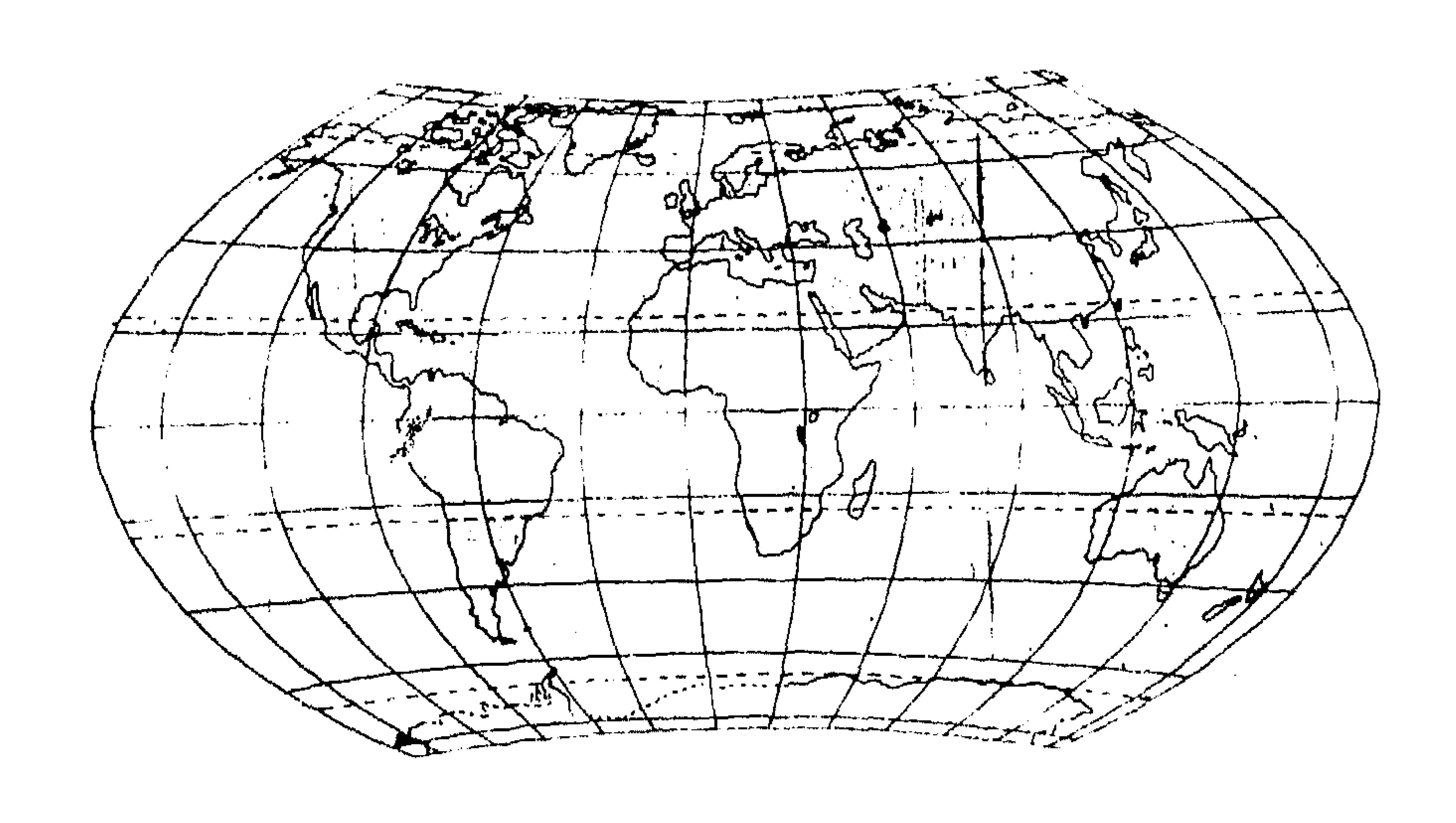


Monsoon : أى الريح الموسمية أو موسم هبوبها ، وأصلها اللفظ « **موسمٌ** » العربى .

Simoom : أصلها « **ريح السموم** » ، وهى الريح الحارة اللافحة المثقلة بالغبار .

Sirocco : الرياح الحارة الجافة التى تهب من الصحراء الكبرى على البحر الأبيض المتوسط محملة بالغبار ، والأصلْ العربى للكلمة هو « **الشروق** » أو « **الريح الشرقية** » .

الأسماء العربية القديمة للبحار والمحيطات



بحر الظلمات : المحيط الأطلسى .

بحر الزقاق (أوزقاق سبتة) : مضيق جبل طارق .

بحر الروم : البحر الأبيض المتوسط .

بحر القلزم (أو بحر الحبشة) : البحر الأحمر .

بحر الزنج : الجزء الشرقى من المحيط الهندى ، وبصفة خاصة الجزء الواقع شمال مدغشقر وأمام ساحل تنزانيا .

البحر الأعظم : المحيط الهندى .

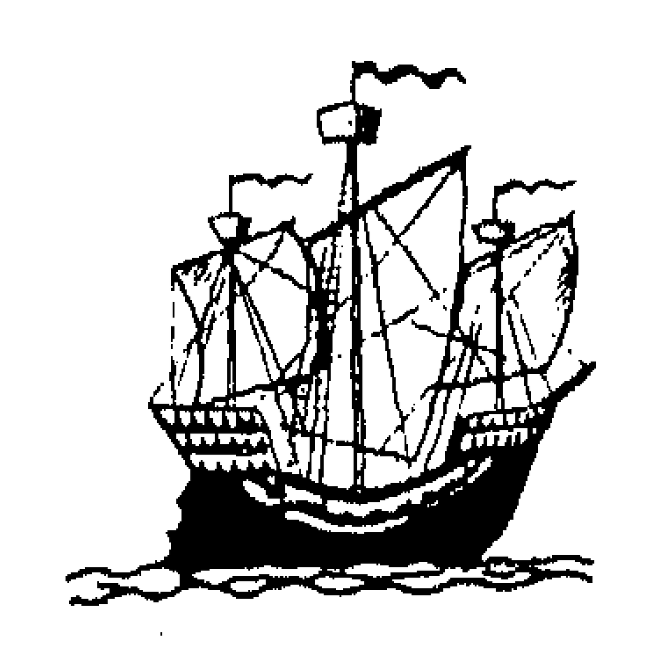
بحر فارس : الخليج العربى .

بحر صنجى (أو بحر الصنف أو بحر ملاتو) : بحر الصين الجنوبى .

الملاحون العرب ومرض الأسقربوط

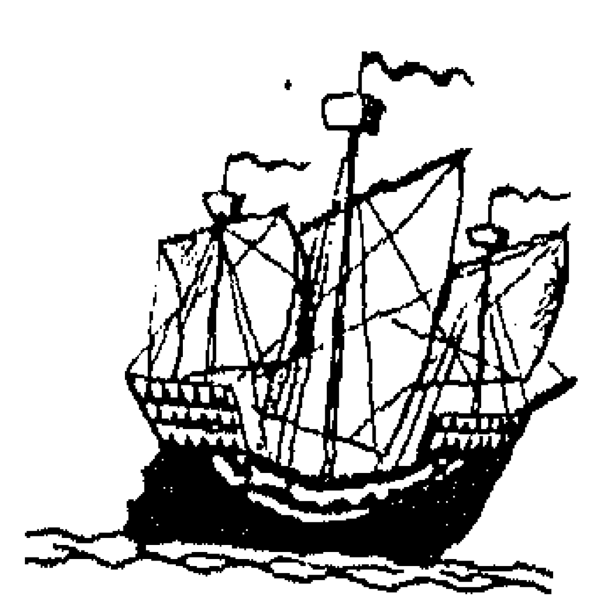
الأسقربوط مرض ينجم عن نقص فيتامين جـ (سى C) فى غذاء المصابين ، وكان منتشراً فى القرون الوسطى بين البحارة الأوربيين الذين يقضون فترات طويلة فى البحر لا يتناولون خلالها شيئاً من الأغذية والخضر الطازجة الغنية بهذا الفيتامين ؛ وأعراض هذا المرض الذى كان معروفاً أيضا باسم « **مرض البحارة** » تتمثل فى الضعف العام والشعور بآلام فى المفاصل والعضلات ، ويلى ذلك حدوث نزف من اللثة ثم بقية الأعضاء .

ولم ترد بكتب التراث العربى أية إشارة إلى إصابة الملاحين العرب بمثل هذه الأعراض ، مما يعنى أن الأسقربوط لم يكن يصيبهم ؛ وهذا فى رأى الدكتور أنور عبد العليم عالم البحار والملاحة ربما يكون راجعاً إلى إعتماد البحارة العرب فى غذائهم إبان رحلاتهم البحرية على التمور والعجوة .. والبلح كما هو ثابت علمياً غنى بالفيتامينات والأملاح المعدنية وقد ذكره الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز ، والنخلة هى شجرة العرب المباركة ومظلة حضارتهم .



وبعد ياعزيزى القارىء : هل قرأت ووعيت ما سبق ؟ .. لقد كانت وقعة ذات الصوارى نقطة البداية الحقيقية لكل هذا التراث العظيم !! ...

معارك متقاطعة



أفقيا :

٢ – ثلاثة أخماس (**أسياف**) مبعثرة .

٣ – أداة يتوقى بها الجندى الضربات .

٤ – عين للجيش .

٥ – معركة عظيمة انتصر فيها المرابطون بزعامة يوسف بن تاشفين وملوك الطوائف بزعامة المعتمد بن عباد على التحالف الإسبانى بقيادة ألفونسو السادس عام ٤٧٩ هـ (١٠٨٦ م) .

٦ – **نصف** « **حصن** » (معكوسة) .

كان من نصيب الأسطول الإسلامى فى وقعة ذات الصوارى ، ومن نصيب الجيش الإسلامى فى وقعة « **القادسية** » (معكوسة) .

٧ – نصف « **حربة** » .

٩ – موقعة إسلامية شهيرة أحرز فيها خالد بن الوليد انتصاراً باهراً على الروم عام ١٣ هـ (٦٣٤ م) .

١٠ – موقعة إسلامية خالدة سحق فيها طارق بن زياد جيش لذريق عام ٩٢ هـ (٧١١ م)

رأسياً :

٢ – معركة إسلامية كبرى أنزل فيها صلاح الدين بالصليبين هزيمة قاسية عام ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م) .

٤ – من غزوات رسولنا الكريم – ﷺ – واللفظ مبعثر .

حرفان من « **عين جالوت** » .

٥ – ردنا على الأعداء دائماً (**اداة نفي**)

٦ – من حركات مياه البحر .

• تقبض على السيف .

٧ – معركتنا .

٨ – من طوائف الجند .

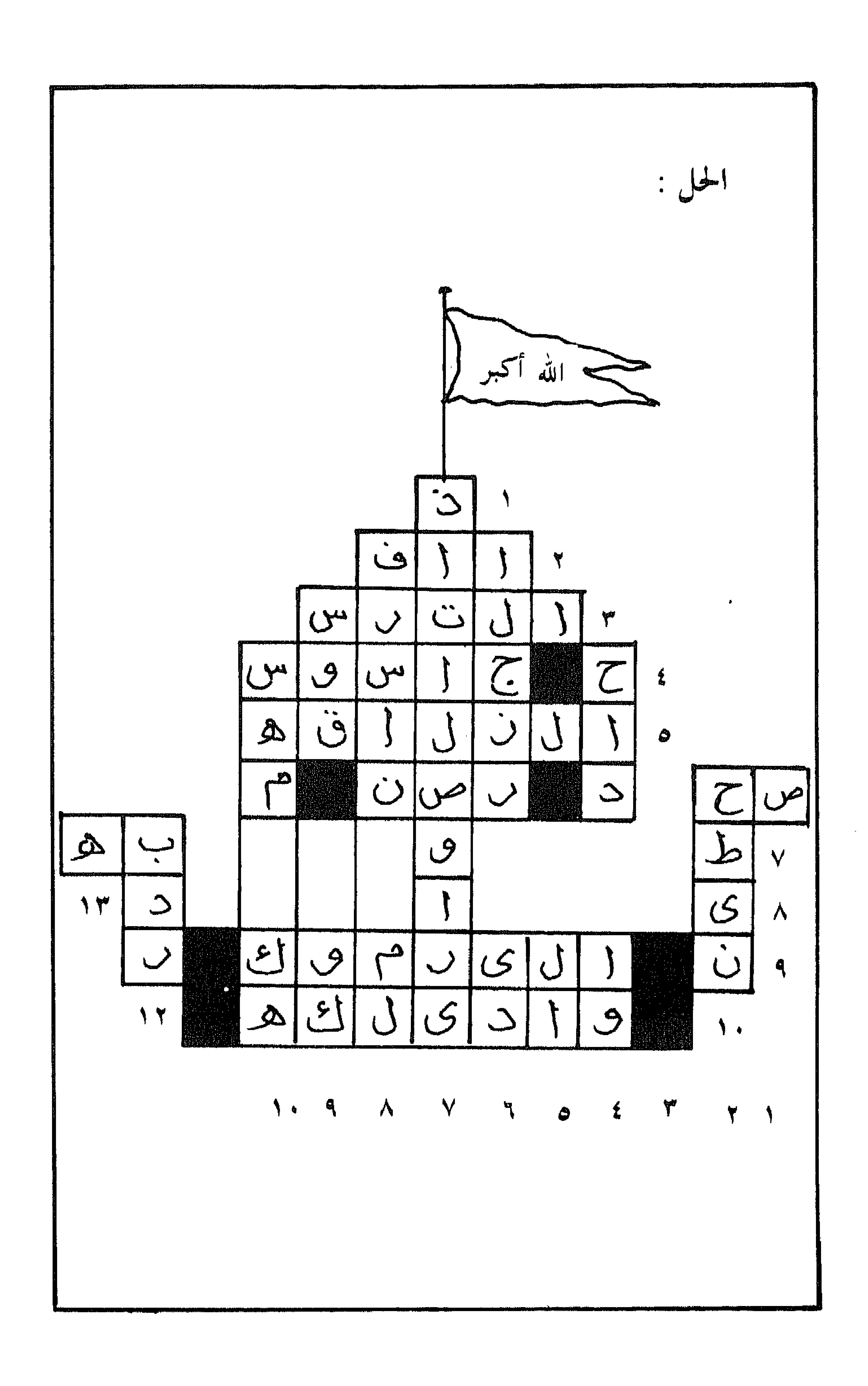
« **الجـ ..** » موقعة دارت بين الإمام على بن أبى طالب – كرم الله وجهه – وحزب عثمان – رضى الله عنه –.

٩ – أداة للرماية فى الحروب الإسلامية (معكوسة) . نصف « **تبوك** » .

١٠ – من أدوات الحرب – ثلث معركة .

١١ – موقعة المواقع وأم المعارك .

الحل :



مراجع « وقعة ذات الصوارى »

□ الأساطيل العربية فى البحر الأبيض المتوسط - د . إبراهيم أحمد العدوى مكتبة نهضة مصر - ١٩٥٧ .

□ الصراع بين العرب وأوروبا (من ظهور الإسلام إلى إنتهاء الحروب الصليبية) - د . عبد العظيم رمضان - دار المعارف ١٩٨٣ .

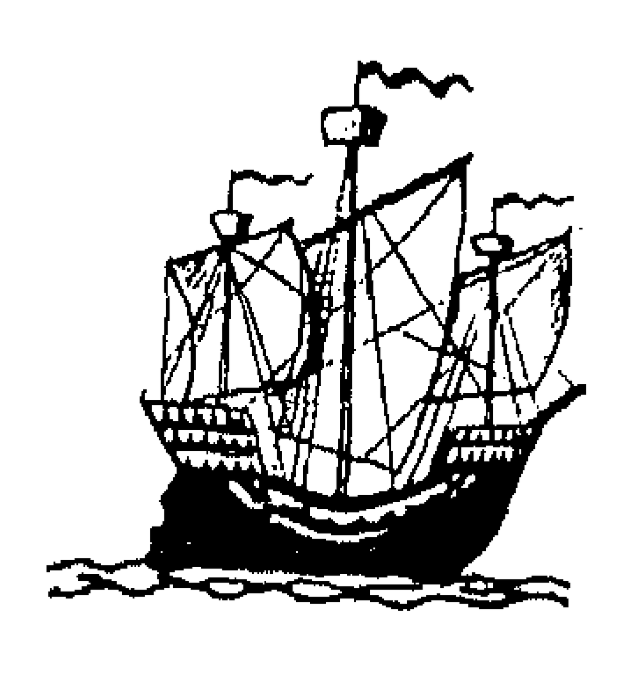
□ البداية والنهاية - لشيخ الإسلام ابن كثير - المجلد الرابع من طبعة دار الغد العربى - القاهرة - ١٩٩٢ .

□ تاريخ الرسل والملوك - لابن جرير الطبرى - المجلد الرابع من طبعة دار المعارف .

□ كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر - لابن خلدون - دار الكتاب اللبنانى - بيروت - ١٩٧٧ .

□ الإمبراطورية البيزنطية - تعريب : د . حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد - الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة .

□ موسوعة المعرفة ص ١٦٦٧ - مؤسسة الأهرام - ١٩٧٣ .



مراجع الطرائف

كتب :

● تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه – د . عبد الحليم منتصر – دار المعارف – القاهرة – ١٩٧٣ .

● تقدم العرب فى العلوم والصناعات وأستاذيتهم لأوروبا – عبد الله ابن العباس الجرارى – دار الفكر العربى – القاهرة – ١٩٦١ .

● ملامح من حضارتنا العلمية وأعلامها المسلمين – د . كارم السيد غنيم – الزهراء للإعلام العربى – القاهرة – ١٩٨٩ .

● المدنية العربية الإسلامية (نظرات فى الأصول والتطور) – يسرى عبد الغنى – سلسلة كتب ثقافية – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٨٧ .

● العلم والحضارة فى الصين – جوزيف نيدهام وكولن رونان – ترجمة : محمد غريب جودة – سلسلة الألف كتاب الثانى – الهيئة المصرية العامة للكتاب .

دوريات :

● قصة الملاحة العربية منذ آلاف السنين – د . أنور عبد العليم – العدد ١١٣ من مجلة الدوحة – مايو ١٩٨٥ – ص : ٧٠ – ٧٤ .

● العلوم فى الإسلام – حسنى شحادة – العدد ١١٣ من مجلة الدوحة – مايو ١٩٨٥ – ص : ١٠٠ – ١٠٥ .

● أحمد بن ماجد الملاح العربى المفترى عليه – د . أنور عبد

العليم – العدد ١٢٠ من مجلة الدوحة – ديسمبر ١٩٨٥ – ص : ٨٦ – ٩١ .

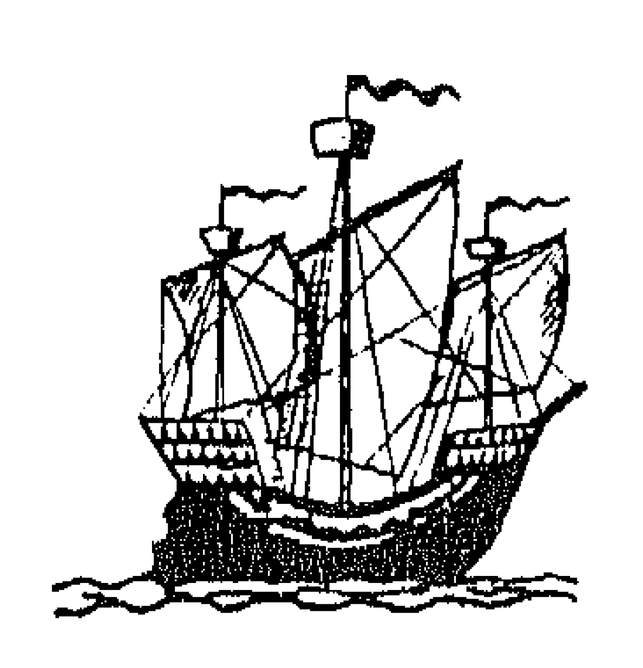
● عجائب بحر الهند – د . أنور عبد العليم – العدد ١٠٩ من مجلة الدوحة – يناير ١٩٨٥ – ص : ٣٥ – ٣٩ .

● حديث مع د . أنور عبد العليم – العدد ٤٠٤ من مجلة العربى – يوليو ١٩٩٢ – ص : ٨٣ .

● آثار مدنية العرب فى إيتاليا (إيطاليا) – المستشرق الإيطالى :

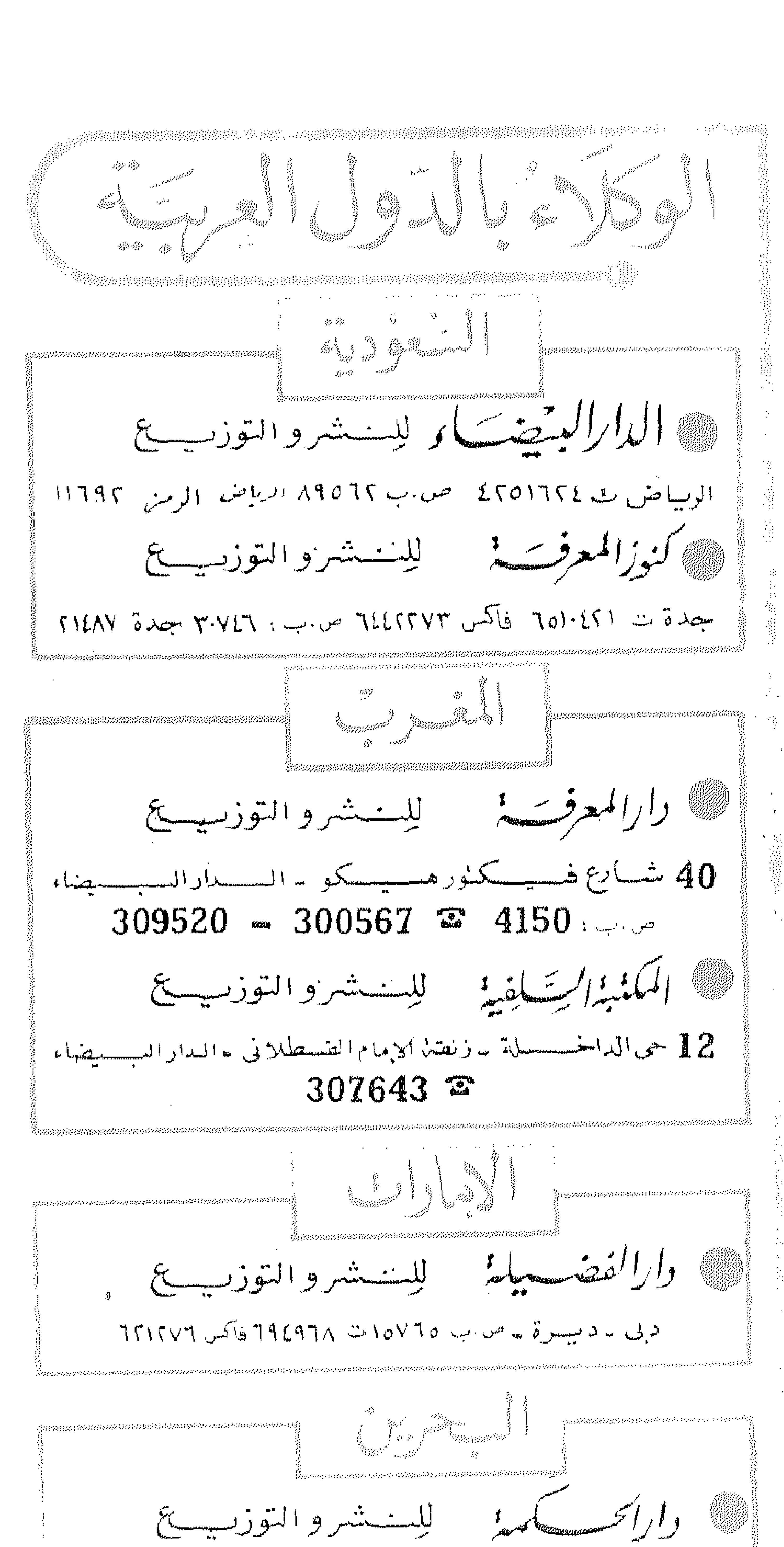
ا – جويدى – الهلال : عدد من العشرينات .

ملحوظة : المعارك المتقاطعة من إعداد المؤلف .



الفهرس

رقم الايداع ١٩١٥ـ٩٣



الوكلاء بالدول العربية

السعودية

- **الدار البيضاء** للنشر والتوزيع

الرياض ت ٤٣٥١٦٢٤ ص.ب ٨٩٥٦٢ الرياض الرمز ١١٦٩٢

- **كنوز المعرفة** للنشر والتوزيع

جدة ت ٦٥١٠٤٢١ فاكس ٦٤٤٢٢٧٣ ص.ب: ٣٠٧٤٦ جدة ٢١٤٨٧

المغرب

- **دار المعرفة** للنشر والتوزيع

40 شارع فيكتور هيكو - الدار البيضاء

ص.ب: 4150 ☎ 300567 - 309520

- **المكتبة السلفية** للنشر والتوزيع

12 حى الداخلة - زنقة الإمام القسطلانى - الدار البيضاء

☎ 307643

الإمارات

- **دار الفضيلة** للنشر والتوزيع

دبى - ديرة - ص.ب ١٥٧٦٥ ت ٦٩٤٩٦٨ فاكس ٦٢١٢٧٦

البحرين

- **دار الحكمة** للنشر والتوزيع

ص.ب: ٢٣٨٧٥ هاتف ٣٣٦٠٣٢